ثورة الهند السياسية

أثر تاريخي ووصف حقيقي

خطاب احد زعماء النهضة الاسلامية الهندية

الذي قدمه عند محاكمته للمحكمة الانكليزية

وهو الاستاذ الكبير العلامة النحرير الخطيب المفوه

الكاتب المدره مولانا أبو الكلام أحمد

ومقدمة مترجمه

الشاب النجيب ، الكاتب الاديب ، غصن دوحة الاصلاح الرطيب

الشيخ عبد الرزاق اللكنوى

في وصف الثورة السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية



الطبعة الاولى سنة ١٣٤١

مطبعة المنار بمصر

ثورة الهند السياسية

أثر تاريخي ووصف حقيقي

خطاب أحد زعماء النهضة الاسلامية الهندية

الذي قدمه عند محاكمته للمحكمة الانكليزية

وهو الاستاذ الكبير العلامة النحرير الخطيب المفوه

الكاتب المدرة مولانا أبو الكلام أحمد

ومقدمة مترجمه

الشاب النجيب، الكاتب الاديب، غصن دوحة الاصلاح الرطيب

الشيخ عبد الرزاق المليحي

في وصف الثورة السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية

الطبعة الاولى سنة ١٣٤١

مطبعة المنار

المقدمة

في وصف الثورة السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية

إن الجهاد العظيم الذي قامت به الهند المستعبدة منذ خمس سنوات متواليات لصون الخلافة الاسلامية، وحرية البلاد العربية، يكاد يكون فذا في تاريخ العالم. لا لانه جهاد بلاد استعبدت استعبادا شديدا، وحكمت بالنار والحديد اجيالا، صبت على رأسها المصائب تلو المصائب، ودهمتها الدواهي إثر الدواهي، بل لان أصوله جديدة، وطرق عمله عجيبة، ومظاهراته سلمية، وروحه العاملة فيه خالية من كل حقد وشدة، وليس فيه الا الايثار، وهضم النفس، وكظم الغيظ، وتقديم المهج، وتحمل الشدائد — القائمون به يُقتلون ولا يَقتلون، يضرون ولا يَضربون [1]، يصابون ولا يصيبون، يقاومون القوة لا بالشدة والبطش، بل بالصبر والحلم والسلم، ويحاربون الاستبداد لا بالسيف والرمح، بل بالايمان واليقين والثقة بالله ربهم، فهو جهاد سلمي حقا، وحرب روحانية مدنية، لا شائبة فيها من القوة والغلظة، بل هو في الحقيقة صحيفة عبر، وكتاب بصائر لسائر الامم المستضعفة، يبين لها أن الفوز والنصر لا يتوقف على بسطة الجسم والقوة المادية، بل منبعه الحقيقي من القوة المعنوية وروحانية القلوب التي في الصدور، وهو أول مثال للمقابلة السلمية للقوات المنسلحة القتالة، وإنه ليهب سلاحا ماضيا صائبا من الايمان والصدق للشرق المسكين، ليحارب به الغرب الجائر المتسلح بالقوات المادية، فهل يقبله الشرق وينجو به من الخزي والعار؟

ألا لا يتهمني أحد بأني أبالغ في هذا الجهاد، أو أهيم بوصفه في أودية الخيال، أو أتخيل كالشعراء في المحال، بل أبين كنه الحال، وأتكلم عن حقيقة وبرهان، فانه جهاد زعزع أساس الدولة البريطانية في البلاد، وتركها في حيرة وارتباك، فظلت طول هذه المدة مغلولة الايدي مع ما تملك من القوة والسلاح، ولم تستطع قهره ومقارعته بما أوتيت من البطش والجلاد، اذ السلاح يقرع السلاح، والقوة

(1) فيه احتباك أي: يضرون ولا يضرون من يضرهم، ويضربون ولا يضربون ضاربهم.

تصادم القوة ، والمصارع يصرع المصارع ، ولكن هل سمعت سيفا يقتل روحا ، وأن مُصرعة يصرع قلبا؟ نعم قهرت بريطانية عدوتها المانية، لانها كانت اقوى منها وأدهى[1] ، ولكنها ما كان لها أن تقهر هذا الجهاد السلمي ، لانه ليس امامها قوة مادية مثلها فتكسرها ، ولا يدفتا كا فتجذمها ، وانما كل ما هنالك عنق للقتل ، وقلب للحياة ، وجسم للصلب ، وروح للبقاء ، فما أعجب هذا الجهاد ! وماأسلم هذا العراك !

ولقد كان من نتائج هذا الجهاد أن اضطرت بريطانيا على رغم انفها أن تخفف وطأتها عن الاسلام ، ولا تصر على اظهار العداوة للخلافة الاسلامية، والتمادي في حماية ربيبتها الدولة اليونانية ، فان الحكومة الهندية الانكليزية لما أرسلت بلاغها الرسمي الشهير في فبراير سنة ١٩٢٢ الى الحكومة المركزية في لندن تؤكد فيه المطالب الهندية في مسئلة الخلافة ، وتحذرها من سياستها الخرقاء في معاداة الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية ، تأثر به الرأي العام الانكليزي أيما تأثر ، حتى تدحرجت وزارة المستر لويد جورج القاهر لالمانيا ، وسقطت سقوطا مخزيا ، وكانت قد امتازت بعداوة الاتراك والمسلمين واستعمار البلاد الاسلامية المحتلة باسم الوصاية .

نعم قد تم هذا ، ولكن الايام حبلى ولا ندري مايكون وراء مؤتمر الصلح ، ومهما يكن من الامر ، فسيظل هذا الجهاد حتى تتحرر البلاد الاسلامية ، ويغادر كل جندي محتل أرض الشام وفلسطين والعراق ومصر والقسطنطينية ، فتصبح كلها حرة مطلقة من قيودها تحكم نفسها بنفسها كيف تشاء !

وان مما يحزن القلب ، ويبكي العين ، ان هذه البلاد الاسلامية التي تلتهب الهند غيرة عليها ، وتتفانى في حبها ، وترخص كل غال وثمين لاجلها ، لا تعلم عن هذا الجهاد الا شيئا لا يذكر ، مع أن سيل المصائب الذي غمر العالم الاسلامي قاطبة

(١) انما غلبتها بالدهاء الذي سخرت به اكثر أمم الارض لمساعدتها وآخرهن الولايات المتحدة الاميركية التي كانت أقوال رئيسها سبب الثورة الالمانية

كان يجب أن يعرف به المسلمون بعضهم بعضا ، ويتعاونوا ويتناصروا و يبحثوا عن خطة مشتركة للنجاة من هذه الورطة ، وللفوز والفلاح والحياة في المستقبل.

وهذا الذي دعاني الى أن أقدم الى مسلمي مصر والشام والعراق وسائر البلاد العربية والاسلامية ، الخطاب الجليل الذي خاطب به المحكمة الانكليزية زعيم الهند الحلاحل الهمام ، الشيخ ابو الكلام احمد، عند ماحوكم فيها ، لانه فوق مافيه من البصائر والعبر، يبين مقاصد ذلك الجهاد ، وطرق السيرفيه بأحسن بيان — غير أنه لا بد لايضاح كنه هذا الخطاب من بيان وجيز لحركة « اللاتعاون السلمي » التي سببته هذه الواقعة —

﴿ حركة اللاتعاون السلمي في الهند ﴾

قامت حركة هذا الجهاد بعد هدنة الحرب الكبرى مباشرة ، فظلت زمنا محصورة في قيام المظاهرات، وحشد المحافل ، واجتماع المؤتمرات، وارسال الوفود الى انكلترة وأوربة ، وغيرها من الطرق السياسية المعهودة . ولما لم تنتج هذه الاعمال شيئا ، تشاورت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبرى في وضع خطة للعمل، ثم أعلنتا في أغسطس سنة ١٩٢٠ « اللاتعاون السلمي » الذي هو داخل تحت الاوامر الشرعية لانه قسم من أقسام ترك الولاء للمحاربين والذي يسمى بالانكليزية Monuiolent Non -eo_ operation ومعنى (كوابريشن) المساعدة والمشاركة في العمل ، فكان الغرض منه أن تقطع من بريطانيا جميع تلك العلائق التي تساعدها في حكمها واستبدادها وقيامها في البلاد ، لان الهند ليس في وسعها أن تقوم بحركة مسلحة ولانها تريد أن تقدم مثالا عمليا لمقاومة القوة بالطرق السلمية ، فلذا جعل عنوان هذه الحركة أن تكون سلمية بالمرة ، فلا تقابل القوة المادية بقوة مثلها، بل بالحلم والتضحية والثبات على الحق حتى تتعب القوة من الظلم والعسف ، ولا يتعب أصحاب الحق من الصبر والتضحية —

وكانت لائحة عملها كما يلي :

(١) ترد الى الحكومة جميع مناصبها وألقاب شرفها وأوسمتها

(٢) تقاطع جميع مدارسها وكلياتها ، وتؤسس للصبيان المدارس الوطنية، والشبان يشتغلون بنشر الحركة وترويجها —

(٣) تقاطع جميع المحاكم العدلية ، فلا يذهب اليها المحامون ولا أصحاب الدعاوى ، بل تؤسس المحاكم الوطنية فتفصل فيها الدعاوى على الطرق البسيطة.

(٤) تقاطع إصلاحات الحكومة التي تمن بها على البلاد ، فلا يرشح أحد نفسه للمجالس النيابية ولا ينتخب لها أحد.

(٥) تقاطع البضائع الانكليزية ، ولاسيما القماش منها، ويجب على الوطنيين أن يغزلوا القطن بأيديهم ، فينسج منه القماش ، وهو الذي يستعمله الناس .

(٦) يجب ترك الخدمة العسكرية لان الدولة البريطانية تستعمل الجيش الهندي لاستعباد هذه البلاد وغيرها من البلاد الحرة .

(٧) يجب أخيرا أن يمنع كل مايدفع الى الحكومة من أموال الضرائب وغيرها فلا يؤدى اليها فلس واحد وان سجنت وعذبت .

لا يخفى خطر هذه اللائحة ، فانها لم تكن الا دعوة الى الايثار وهضم النفس وتحمل الخسائر والتعرض للنوائب ، اذ لا يلبيها أحد الا وينفض يده من وسائل معيشته ، فيذر نفسه وأهله للضنك والفقر والفاقة ، ثم يعرض عن كل ما عند الحكومه من الرتب والمنافع والشرف والفخار ، وبعد ذلك يعرض نفسه للحبس والتعذيب وقد يلقى الى القتل والصلب ، الا ان البلاد رحبت بها وتقبلتها بقبول حسن ، فأخذت جماعات تاركي التعاون تظهر من كل جهة وتعلن هذه الامور وتعمل بها ، والحكومة تراها بعينها ولا تعرف كيف تصد تيارها .

﴿ مقاطعة ولي العهد ﴾

ولما رأت الحكومة أن الحركة لا تزال تتقوى وتنتشر وانها لا تقدر على قهرها لجأت الى الحيل السياسية ، فدبر لوالي العام الجديد اللورد ريدنج الداهية الشهير،

سياحة لولي عهد انكلترة في البلاد الهندية ، ظنا منه أن البلاد لا تأبى استقباله والترحيب بضيفها لان العائلة الملكية تعتبر عندهم فوق المنازعات السياسية ، فتضعف الحركة وتعود المياه الى مجاريها —

ولكن سرعان ما خاب أمله ، فان الامة ما سمعت بهذه السياحة الا وقررت مقاطعتها ، وأعلنت جمعية الخلافة وجمعية العلماء ان هذه السياحة تنوب عن الامبراطورية البريطانية، التي تحارب الخلافة والبلاد الاسلامية ، وتريد استعبادها واستعمارها ، فلذا لا يجوز لاحد من المسلمين أن يشترك في استقبال ولي العهد ولا في الاحتفالات التي تقيمها الحكومة له —

ولقد قامت المنازعات الشديدة في البلاد بعد هذا الاعلان ، فكانت الحكومة في جهة تجد وتكد بجميع وسائلها الكثيرة ومواردها العظيمة لانجاح هذه السياحة، وفي جهة أخرى كان زعماء البلاد الذين لاحول لهم ولا قوة الا قوة الامة، مصرين على مقاطعتها ، وكانت النتيجة مدهشة جداً، كانت هزيمة شنيعة تسجل في التاريخ على أقوى دول الارض أمام الرأي العام لبلاد ضعيفة الجسم ، قوية الروح ، فلقد رأى نجل إمبراطور العالم بعيني رأسه منظرا مدهشا لم يشاهد مثله من قبل ، وربما لم يخطر في باله ، فانه ما دخل مدينة الا وجد الاسواق فيها معطلة والدكاكين مقفلة ، والابواب موصدة، والشوارع مهجورة، والمدينة كلها في سكون كسكون المقابر ، كانه لم يغن فيها أحد بالامس ! وقد شاهد ما شاهده عم أبيه الدوق أوف كنوت مثل ذلك في سياحته التي تقدمت سياحته بسنة، ووصفه أحد كاتبي الجرائد في باريس قائلا «ان الهند اليوم مثل ما كانت باريس عند دخول الجيوش الالمانية اياها في حرب السبعين ! »

﴿ نبذ القوانين الجائرة ﴾

قد غاظت هذه الهزيمة الحكومة ، فعزمت على قتل الحركة بالقوة والشدة، ناسية أو جاهلة أنها لا تقتلها بها، بل انما تقويها وتشد أزرها

ان جمعية الخلافة وفروعها كانت نظمت المتطوعين الذين كانوا على محافظتهم

على نظام المجالس والمجامع العامة يقومون بخدمات كثيرة للامة فكأنهم كانوا جيشا غير متسلح لها، فأعلنت الحكومة أن جماعتهم هذه غير قانيونية فيجب الغاؤها، ثم منعت انعقاد المجالس فحرمت الامة من حرية الاجتماع وحرية اللسان ، وهي من الحقوق الفطرية الطبيعية لكل انسان ، غير أن الحكومة لم تبال بسوء عملها بل حذت حذو من تقدمها من الحكومات المستبدة المنقرضة ، لان التاريخ يعيد نفسه

وقد بدأت الحكومة بتنفيذ هذه القوانين الجائرة (بكلكتا) قبل غيرها من المدن ، لان قدوم البرنس اليها كان قريبا ، ولانها من أعظم المدن الشرقية ، وتكاد أن تكون أوربية لكثرة الاوربيين فيها ، فكانت مقاطعة البرنس فيها ثقيلة جداً على الحكومة ، فبادرت باعلان هذه القوانين فيها ،

﴿ ما قرره أبو الكلام في مقابلة عقاب المقاطعة السلبية ﴾

ولكن نشر صاحب هذا الخطاب في الوقت نفسه اعلانا ضد الحكومة ، قال فيه انه يجب على الامة نبذ هذه القوانين نبذا ، والاقدام من أجلها على السجون أفواجا ، وقرر الامور الآتية .

(١) ان الخضوع لمثل هذه الاحكام الجائرة ، معناه النزول عن الحقوق المدنية والانسانية ، وليس للحكومة أن تمنع المجامع السلمية ، والاعمال الوطنية الجائزة ، فاننا ان نخضع لها خوفا من الحبس والمهانة ، نكن مجرمين امام ضمائرنا وأمام الانسانية، فليس على محبي الحرية والحق الا أن يعصوها ، و يوطنوا أنفسهم على جميع المصائب التي تصبها الحكومة على رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين.

(٢) يجب أن يوسع نطاق التطوع ، وأن ينبث المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين للمقاطعة الملكية التي تريد الحكومة أن نجانبها ، واذا منعتهم السلطة لا يطيعونها ، بل يسلمون أنفسهم للاعتقال بدون أدنى كره ولا مقاومة .

(٣) تعقد المجالس والمحافل في جميع المجتمعات العامة ، وكل من يذهب اليها يسلم نفسه للسلطة اذا ارادت القبض عليه —

(٤) كل من يقبض عليه ، يقاطع المحاكم مقاطعة تامة في القول والعمل ، لان الحكومة التي تنوب عنها المحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة فلا معنى للاعتراف

بمحاكمها والسعي للدفاع فيها ، فانها لا تستطيع أن تخالفها وتنصف في حكمها .

(٥) تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجن،فلنهرول الى السجون زرافات زرافات ، حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا نتعب نحن من الاقدام عليه .

وقد لبت الامة الدعوة،فابتدأت الاعمال الجدية بكل قوة ، وسارع الناس أفواجا الى ادارات التطوع ، وبدأت الاجتماعات العامة ، وأخذ الخطباء يخطبون ويقبحون الحكومة وظلمها وعسفها ، فدهشت الحكومة وظلت في حيرتها أياما لا تدري ما تعمل . لأنها كانت قد وقعت في نفس ذلك الشراك الذي بسطته يدها . فلا هي تقدر على أسر جميع النابذين لاوامرها لان الناس كلهم نبذوها . ولا هي تستطيع غض النظر عنهم . لان هذا يظهر عجزها في تنفيذ قوانينها . غير أنها عزمت أخيرا على الاعتقال والتسجين.ظانة أن الناس سيخافون من صولتها . ويعودون الى طاعتها . فأخذت تعتقل في (كلكتا) وحدها ألفا من المتطوعين كل يوم . وقد كان المنظر مؤثراً للغاية . فان عصابات المتطوعين كانت تترى ، فكلما اعتقلت واحدة حلت محلها أخرى ،وهكذا الى الليل .

ثم أعلنت هذه القوانين القاسية في طول البلاد وعرضها، فحذت الامة في كل مكان حذو (كلكتا) في مقاومتها. فأخذ الوطنيون يظهرون في كل محل ويعصون القوانين،وأخذت السلطة تقبض عليهم وتسجنهم، فأصبح السجن ألعوبة والرجال أطفالا يلعبون بها .وان القلم ليعجز عن وصف تلك الحمية والغيرة والحماسة التي كانت تشاهد في كل زقاق وشارع وبلد من القطر الهندي العظيم فكان الناس يتنافسون في التصدي للاعتقال والسجن والذين كانوا لا يعتقلون لسبب ما كانوا يتحسرون على أنفسهم حتى الصبيان كانوا يبكون شوقا اليه ويلحون على الشرطة أن تعتقلهم، فكم من مئات منهم دخلوا السجون بالحاح شديد وودعتهم أمهاتهم بدموع الفرح ولم يكن المتطوعون وحدهم يقدمون أنفسهم للاعتقال بل كان الالوف من المارة والسوقة اذا رأوهم على هذه الحالة يتحمسون فيتزاحمون ويقولون للشرطة : نحن

أيضاً منهم فاقبضوا علينا فكان يقبض عليهم ويرسلون الى السجون —

ولم يمض على هذه الحالة اسبوع الا بدت علائم الملل والفتور والهزيمة على وجه الحكومة لان السجون على كثرتها وسعتها كانت قد امتلأت وكذلك جميع تلك الابنية التي استخدمت لهذا الغرض واختل النظام والضبط في السجون وعجزت الحكومة عن تهيئة الطعام والشراب للمسجونين الوطنيين، فاضطرت الى أن تخلي سبيل ألوف منهم . فباب السجن كان يفتح وينادي المنادي فيهم « من كان منكم يريد الذهاب فليذهب » ولكنهم كانوا يأبون الذهاب، فيحملون على الاكتاف ويلقون وراء الباب، فيذهبون الى الاسواق فيعصون الاوامر فيؤسرون فيرجعون الى السجن حيث كانوا قبل ساعات. فلما رأت الحكومة ذلك امتنعت من ارسالهم الى السجون فكانت تعتقلهم نهارا وتطلقهم ليلا من مراكز الشرطة غير أنهم بمجرد خروجهم يعودون الى عملهم القديم

ضجرت الحكومة من هذه الحالة ضجرا شديدا ، وأيقنت أن النار لا تخمد مادام الزعماء على حريتهم ، فمدت يدها اليهم ، وهم قد كانوا مستعدين لاجابة دعوتها من أول يوم ، معتقدين أنه لا بد لتقوية الحركة وتكميل العمل من سجنهم أنفسهم ، فألقي القبض على صاحب الخطاب في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ فذهب الى السجن بوجه ضاحك، وثغر باسم.

وقد كان حفظه الله أعلن قبل أسره بساعات في بلاغ الى الامة أنه سيقبض عليه، ففي تلك الساعة يبتلي عزمها وثباتها، وقد جاءت تلك الساعة ورأت الحكومة أن تلك الحركة أصبحت أقوى وأشد من قبل، حتى بلغ عدد المسجونين خمسين ألفاً :

ولم يمض على أسره أسبوعان الا وقد وجدت الحكومة نفسها عاجزة ومنهزمة أمام هذه الحركة ، فاضطرت الى أن تجنح للسلم ، فأعان الوالي العام في (كلكته) لوفد من حزب الاعتدال أن الحكومة ترغب في الصلح، وترحب بهدنة تعقد له، فهي تمسك يدها عن القبض والاسر وتطلق سراح جميع المسجونين ، ويمسك الزعماء عن أعمالهم ، بدون أن يعترف أحد من الفريقين بالغلبة والانكسار ،

فيجتمعان في مؤتمر ، و يتشاوران في الامر ، و يكون لكل منهما حرية العمل اذا لم ينجح المؤتمر . وفي هذا الوقت نفسه أعلن أن الحكومة الهندية لاتألو جهدا في تقديم مطالب الهند في مسئلة الخلافة الى الحكومة المركزية . وهي مستعدة أيضاً لكل عمل مستطاع في المستقبل - (وقد أرسلت الحكومة بعد هذا الاعلان بلاغها الشهير بامضاء الوالي العام وجميع ولاة المقاطعات الى انكلترا وهو الذي وقع الخلاف في نشره بين اللود كرزن والمستر ما تنغو القائم بأعمال الوزارة الهندية يومئذ . فاضطر الثاني الى أن يستعفي من خدمته)

فلما دعيت جمعية الخلافة والجمعية الوطنية الكبري هذه الدعوة. قبلتها وأعلنت الهدنة . وقدمت الشروط الاساسية للمؤتمر المقترح .وكان الشرط الاول منها أن تقبل حكومة لندرة المركزية كل ما يقرره المؤتمر غير أن الحكومة لم تقبل هذ ا الشرط فعاد الحال كما كان .

(صاحب الخطاب)

أما صاحب الخطاب العالم العلامة الشيخ أبو الكلام أحمد فمن المؤسسين للنهضة الجديدة الاسلامية في الهند—أقول من المؤسسين لانه لايرضيه أن يقال هو المؤسس لها — فانه الى سنة ١٩١٢ لم تكن في مسلمي الهند أي حركة عامة نافذة قوية للاصلاح الديني ولا السياسي ، فكانوا في الدين على جمود وتقليد ومحدثات، وأما السياسة فلم يكن لهم فيها شأن فكانوا يجتنبونها ويخافون منها كأنها حية تنهشهم، معتقدين أن الاستقلال يضرّ بهم ويمكن الهندوس منهم، فبيناهم في هذه الظلمات إذ قام فيهم تلك السنة صاحب الخطاب فصاح بأعلى صوته « اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ! » فأما الدين فقد دعا فيه الى التوحيد الخالص والتمسك بالكتاب والسنة ونبذ التقليد والبدع والخرافات، وتطهير الاعمال والعقائد من المحدثات. قال : ان الدين ما كان عليه الرسول وأصحابه والسلف الصالح من أمته لا ما قاله فلانٌ وفلان، وان القرآن مهيمن على الكتب السماوية والعلوم

البشرية فلا تشوهوا وجهه باليونانيات ولا بتخريفات المتفرنجين. ففتح باب الاجتهاد وفسر القرآن بأسلوب بديع ونزهه عن كل الترهات. واستنبط منه ومن سنة الرسول كل ما يحتاجه المسلمون في دينهم ودنياهم

وأما السياسة فقد دعا فيها الى الحرية التامة واستقلال البلاد والاتحاد مع أبناء الوطن ومقاومة الاجانب المسيطرين بغير حق . فقامت عليه القيامة من كل جهة وصوّب المعارضون اليه نبالهم و بسطت الحكومة له شركها ولكن لم توقفه العراقيل في طريقه، ولا صدته الموانع عن عمله، فمازال يلقي الخطب الرنانة ويحبر المقالات الحماسية و يقرع أسماعهم ببلاغته الشهيرة ويوقظ قلوبهم بمواعظه البالغة، و ينفخ في أجسادهم الميتة روح الدين والحرية، حتى انتبهوا من رقدتهم وهبوا من نومتهم ، وهرعوا الى الداعي ملبين دعوته ومجيبين نداءه، وكل هذا في خلال بضع سنوات المدة التي لا تكاد أن تصدق، وكانت لسان دعوته مجلة « الهلال » الاسبوعية خالدة الذكر

و يمكن تلخيص بعض مهمات دعوة الهلال الاجتماعية والسياسية في المواد الآتية :

(١) ان العبودية سواء كانت للاجانب أو الغاصبين من الامة نفسها لا تجتمع مع الاسلام، وأن السعي للحرية والاستقلال وتحمل الشدائد والمصائب والاغتباط بالموت في سبيله — كل ذلك واجب على المسلمين ووراثة ملية ورثوها عن أجدادهم العظام فهم إما أن يعيشوا أحراراً أو يموتو كراما، وليس بين هذا وذاك من سبيل في الاسلام ، لان شريعته ما دامت لا تبيح استبداد الولاة من المسلمين أنفسهم، فكيف تبيح لهم أن يعيشوا خاضعين لظلم الاجانب واستبدادهم؟ والمسلم الذي يقنع ويرضى بهذه العيشة لا ريب في حرمانه من روح الحياة الاسلامية.

(٢) على مسلمي الهند واجبان: اسلامي ووطني فالواجب الاسلامي يطالبهم أن لا يحصروا نظرهم في حدود أرضهم فان جنسية الاسلام مطلقة من قيود الوطن والنسل وشاملة لجميع المصطبغين بالصبغة الاسلامية حيثما وجدوا، ومن أي أمة كانوا، فيجب عليهم أن يعينوا اخوانهم المسلمين خارج الهند و ينصروهم

ويخففوا مصائبهم عنهم وأما الواجب الوطني فهو أن يتحدوا مع أبناء وطنهم ويرخصوا نفوسهم في جهاد الحرية والاستقلال لبلادهم

(٣) إن الدول الغربية لا تهدد الاسلام والمسلمين فقط بل الشرق بأسره فيجب على الامم الشرقية أن تتحد وتتفق لصون حريتها وحياتها من الغرب

(٤) ان الدولة العثمانية هى البقية الباقية من الدول الاسلامية فيجب على مسلمي العالم كلهم أن يساعدوها وينصروها ويرجحوا حقها وصيانتها على مقاصدهم الوطنية لانها المركز الملي والسياسي لهم ولا حياة للفروع بدون الاصل

(٥) اللغة العربية هى اللغة الملية للمسلمين كافة والوسيلة الوحيدة للتعارف والاتحاد بينهم وإن من العلل الجوهرية للانحطاط الاجتماعي والديني انقراض الخلافة العربية وهجران اللغة العربية وشيوع العجمية والفلسفة اليونانية بينهم فيجب عليهم إحياء اللغة العربية الصحيحة وتعلمها حتى تصبح عامة بينهم

(واني أريد أن أقول هاهنا كلمة في « المسألة العربية » فان كثيرا من اخواننا العرب يعتقدون أن مسلمي الهند يرجحون الترك عليهم ويكرهون استقلالهم مع أن الامر ليس كذلك فهذا زعيم مسلمي الهند وقائدهم الاكبر ما زال يلح على الدولة أن تمنح للولايات العربية الحكم الاداري فقد صرح به في جميع مذكراته التي بعثها الى المرحوم طلعت بك وزير الداخلية اذ ذاك والتي ناولها أحمد رضا بك الشهير ثم الدكتور عدنان بك مندوب حكومة أنقرة في الاستانة الآن عند قدومهما الى الهند نعم إن مسلمي الهند ما كانوا يحبون أن يفترق الترك والعرب خوفا من انحلال الدولة الاسلامية وسقوط العرب في يد المستعمرين من الاجانب وقد وقع ما كانوا يخشونه فثار الشريف و . . . فالى الله المشتكى !)

ولما ابتدأت الحرب الكبرى أصبحت الهند في حالة تشبه حالة الاحكام العرفية وأخذت الحكومة تسجن وتعتقل كل من ارتابت فيه غير أن صاحبنا ظل على حريته وثباته يقول ما كان يقوله ويقبح الظلم والاستبداد كعادته لم يخفه عفريت الحرب ولم ترعبه السلطة العسكرية. ثم لما بدأ الخلاف بين الدولة العلية

والحلفاء وحجزت بريطانيا البارجتين العثمانيتين «رشادية وعثمان اول» وخشي نشوب الحرب بينهما قام في ذلك الوقت العصيب أيضا بكل جرأة وشجاعة يظهر أفكاره وآراءه في مقالاته وخطبه وقد نبه رجال الحكومة شفهيا أن الحرب مع الدولة العثمانية يؤلب المسلمين على بريطانيا ويضع مسلمو الهند في موقف حرج فلا يكون أمامهم الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع بريطانية فيجب عليها أن تسلم بمطالب تركيا ولا تذرها تنضم الى المانيا فاذا فعلت ذلك يبذل مسلمو الهند جهدهم في منع الدولة من أن تكون مع ألمانيا فاما أن تبقى على الحياد واما أن تكون بجانب الحلفاء، غير أن الحكومة لم تصغ الى نصحه ونشبت الحرب بين الدولة والاتحاديين فنشرت الحكومة البريطانية في أول اكتوبر سنة ١٩١٤ إعلانا في الهند قالت فيه ان الدولة البريطانية وحلفاءها قد اضطروا الى دفع الهجوم العثماني ولكن ليثق مسلمو الهند أننا لانهاجم تركيا ولانقوم بعمل عدائي ضد البلاد الاسلامية المقدسة

وقد نشر حفظه الله مقالة شهيرة بعنوان « القارعة » فصل فيها ما كان يراه مسلمو الهند أحسن تفصيل ثم تحادث مع اللورد كارمار كل والي بنغالة الاسبق في نفس هذا الموضوع وكانت خلاصة حديثه معه وما كتبه في مقالته كما يلي :

(١) ان من المصائب علينا ان تقع الحرب بين الدولتين البريطانية والعثمانية التي يعدها جميع مسلمي العالم صاحبة الخلافة الاسلامية وآخر دولهم وأن مسلمي الهند يجب عليهم شرعا أن يكونوا مع الخلافة ويطيعوا أوامرها ويبذلوا وسعهم لنصرها وحمايتها فيجب على الحكومة أن تعلم هذه الحقيقة ولا تنخدع بأقوال المنافقين الذين يخدعونها ويتملقون لها

(٢) ان اكثر ما يستطيع مسلمو الهند أن يفعلوه لبريطانية هو أن يبقوا على الحياد ولا يتخذوا خطة عدائية لها ولكن هذا انما يكون اذا :

(أ) تركتهم بريطانية على هذه الحالة فلم تطالبهم بمساعدة مادية ولا معنوية

(ب) لا يكره جندي مسلم على أن يذهب الى ميادين القتال

(ج) لا يهاجم الحلفاء البلاد الاسلامية بل يعلنون اعلانا مؤكدا أن الحرب لا تغير الحدود الحالية للدولة الاسلامية و يضمنون استقلال الدولة العثمانية

(٣) ان لم تقبل الحكومة البريطانية هذا فمسلمو الهند يضطرون الى فرضهم الديني فيفعلون كل ما في وسعهم لحفظ الخلافة والبلاد الاسلامية لان هجوم الاجانب عليها يوجد حالة النفير العام فيجب على جميع مسلمي العالم شرقا وغربا أن يهبوا للدفاع عنها

فلما رأت الحكومة أن حضرته متصلب في أفكاره، ومصر على أعماله، وأنها لا تستطيع استمالته اليها بالترغيبات، ولا تخويفه بالتهديدات. كما فعلت بالآخرين — أقفلت أولا جريدته ثم نفته من مقاطعة كلكته مستقره ثم بعد ستة أشهر سجنته في معتقله ولم تخل سبيله الا بعد الهدنة في يناير سنة ١٩٢٠

ولكنه بمجرد خروجه من معتقله انهمك في إنهاض هذه الحركة الجديدة للخلافة والدعوة اليها ولم يسترح يوما واحدا — وها نحن أولاء نراه بعد سنتين قد سلم نفسه الى السجن ثانية فهو الآن بين جدرانه المريعة ثاويا ، وفي حجرة ضيقة منه قانعا ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا

و انه لتقل أمثلة تلك الجرأة والشهامة والشجاعة التي أبداها طول هذه المدة ، فانه ما زال قبل سجنه يدعو الحكومة الى القبض عليه بمخالفتها ونبذ طاعتها، فما حذرت عملا من الاعمال الوطنية الا وبادر الى اعادته صائحا « ان كان هذا العمل جناية وذنبا عند الحكومة ، فها أنا ذا فاعله ، فلتعاقبني ! » ولكنها ما زالت تغض الطرف عنه وتهاب جانبه ، لانها تعلم أن الامة كلها معه، وأن التعدي عليه يزيد الطين بلة — غير أنها اضطرت أن تسجنه أخيرا للائحة سنتها وليس في وسعها سحب قوانينها المعلنة ولا أن تسكت عن نابذيها —

﴿ المحاكمة والخطاب ﴾

ان خطاب هذا الزعيم سيسجل في تاريخ الحرية والجهاد للامم ، إذ هو آية

عظيمة من آيات الصدع بالحق وتشنيع الباطل وتقبيح الاستبداد ، ومثل عال للجرأة والشجاعة والثبات علي الحق كالجبال الراسيات ، ولا سيما الامور الآتية منها، التي تستحق الاعتبار والتدبر فيها ، وهي :

(١) ان تاريخ الجهاد الوطني في كل البلاد يروي لنا أن الناس كانوا بادىء ذي بدء يجاهرون بمقاومة القوات المستبدة والحكومات الجائرة ، بكل جرأة وشجاعة، حتى اذا أخذتهم الحكومة وأرادت معاقبتهم ، يجتهدون في تبرئة أنفسهم ، فاما أن يقولوا عن أعمالهم إنها كانت قانونية ، لاجئين الى تلك القوانين التي شهدوا بجورها وظلمها، واما أن يأولوا أعمالهم بتأويلات تخفف جنايتهم في نظر المعاقبين ، والناس عامة لا يرون في ذلك بأسا ، فيجوزونها قائلين إن هذه سياسة وخدعة و « الحرب خدعة » فلا بأس أن يحافظ الانسان على نفسه ، ويدفع عنها شر الاعداء بكل ما أمكن ، ولكن صاحب الخطاب سلك مسلكا آخر ، فصرح في خطابه بأنه ليس من الحق والصدق أن ينكر الانسان أمرا صحيحا وحقيقة ظاهرة ، فان الحكومة كانت أخذت عليه أنه ينفر الناس عنها ويقول في خطبه إنها ظالمة جائرة ، ويحرضهم على مقاومتها ومحاربتها ، فلم ينكر شيئا من هذا ، بل اعترف به جميعا بكل جرأة وصراحة ، بل قال أكثر مما نسب اليه —

(٢) قال في خطابه إن النزاع قد قام بين الحق والباطل ، وان الباطل سيفعل ما كان يفعله أمس بالحق وأصحابه ، فيجب على أولئك الذين رفعوا أصواتهم في حماية الحق مع علمهم بقوة الباطل وشدة شكيمته أن يتحملوا بدون أدنى وجل ولا اضطراب تلك النتائج التي لا مناص منها في هذه السبيل ، وان كانوا يشكون ويتململون فليس لهم أن يدخلوا في هذه المعمعة الخطرة

(٢) قد صرح أمام القضاة بكل ما كان يصرح به أمام الامة بدون أدنى خشية ولا وهن في ساعة كانت حياته بيدهم ، وكلمة من أفواههم كانت كافية للقضاء عليه ، غير أنه لصلابته في ايمانه ورسوخه في التوكل على الله وحده ، لم

يبال بهذا الخطر العظيم المحدق به ، بل احتقره وآثر الحق على نفسه وحياته !

(٤) ان العبرة الكبيرة التي أوجه نظر المطالعين اليها هي أن الامة والجماعة تتأثر من الاسوة العملية اكثر من الخطب والمواعظ ، فانها عند ما ترى أمام أعينها الامثلة الصادقة للشجاعة والحرية والاستقامة وعدم الخوف ، يتجدد فيها هذا الروح ، فعلى زعماء الامم وأبطالها أن يقدموا أمثلة لايثارهم وثباتهم كهذا المثل والا فلا طائل تحت بلاغة الخطابة واعادة الدعاوي والالفاظ .

﴿ الى اخواننا في الشام والعراق ومصر وسائر البلاد الاسلامية ﴾

اخواني: ان هذه نبذة يسيرة من تلك المساعي التي تبذلها الهند لصون الخلافة الاسلامية، واستقلال بلادكم الاسلامية والعربية ، على معارضة الموانع الآتية:

(١) ان الهند تبعد عن هاتيكم البلاد بعداً شاسعاً وتحول بينهما البحار الزاخرات.

(٢) ان أهل الهند لا يضرهم احتلال هاتيكم البلدان واستعمارها ضراً ماديا، ولا ينفعهم استقلالها نفعاً شخصياً، بل ان مصالحهم المحلية ، ومقاصدهم الوطنية، تقتضي الاعراض عن غيرهم ، والسعي لاستقلالهم أنفسهم .

(٣) إنهم فوق هذا يئنون تحت نير الاستعباد، ويقاسون الشدائد بيد الاستبداد ، وان الدولة التي تحكمهم نفس تلك الدولة التي حاربت بلادكم وتريد الاستيلاء عليها ، فسعيهم ضدها محفوف بالاخطار ، ومجابة للاهوال .

بيد أنهم لمجرد واجبهم الانساني والشرقي ، وأكبر منهما واجب الاخوة الاسلامية وحماية المظلوم ، لم يستطيعوا القرار في راحتهم و بيوتهم ، بل اضطروا الى منازلة أقوى دول الارض لاجلكم ولحرية بلادكم !

أفليس في هذا عبرة وموعظة لكم أهل البلاد الاسلامية والعربية ؟ البلاد

(١) التي حريتها واستقلالها وحياتها وشرفها القومي والوطني في معرض الهلاك

(٢) التي هي لم تكن مستعبدة لاوربة، بل كانت لها حكومة اسلامية شرقية

ومهما تكن سيئاتها كثيرة ، فهي على كل حال كانت حكومة قومية واسلامية ، وظلمها وغدرها وميلها كان أحسن وأولى من عبودية الاجانب.

(٣) هي نفسها كانت في الحرب فريقاً محاربا ، وكان الشرع والعقل يوجبان عليها أن تغض النظر عن مصائبها الداخلية وتحارب العدو الخارجي وتدفع شره ولكنها ماذا فعلت ؟

ان التاريخ سيقص قصتها بكل خجل وحياء ؟ فانها لم تكتف بالقعود عن أداء فرضها الديني والوطني والانساني ، بل واسوأتاه ! كثير من أبنائها انضموا الى العدو ، فساعدوه على مطامعه ، وكانوا سبباً لانكسار آخر الدول الاسلامية وانقراضها ، حتى ان رجلا قرشياً هاشمياً قاد جيوش الحلفاء الى « بيت المقدس » فنزعه من اخوان دينه وسلمه الى أعدائه !

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وإيمان !

أفلم يأت الى الآن وقت قمع المطامع الشخصية والاهواء الباطلة ؟ أفليس هذا أوان الرجوع الى الله ، ورتق ما فتق ، وسد ثلمة الاسلام ، واتحاد الكلمة ، والذود عن البلاد الاسلامية والعربية ؟ أفلم يأن للمسلمين أن يعودوا الى رشدهم ، ويصلحوا ما أفسدته أيديهم ؟ « أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؟ »

ان مسلمي الهند ليسوا بمجانين حتى يرغبوا في أن يكون أهل بلاد العرب والشام عبيدا للأتراك ، ولكن ليس معنى التحرير من ربقة الترك ، العبودية لبريطانية وفرنسة باسم الوصاية أو الحماية ، فيجب على اخواننا أن يفهموا هذه الحقيقة .

انه لا يمكن لامة أن تصون حريتها ما لم تكن وراءها قوة عسكرية ، والاتراك مهما تكن سيئاتهم وذنوبهم ، فالحقيقة التاريخية أن قوتهم العسكرية هي التي حافظت الى الآن على الاجزاء الباقية من البلاد الاسلامية وردت عنها كيد الاعداء . وأن العراق والشام ان نالتا اليوم الحرية التامة ، لا تستطيعان المحافظة عليها لفقدان قوة عسكرية منظمة منهما ، فاذاً لا مناص لهما

ولغيرهما من البلدان الاسلامية من أن تتحد وتتفق وترتبط بقوة مركزية، مع حفظ حريتها المحلية واستقلالها الداخلي، والا فلا نجاة لها من الحلفاء.

ان الحرية الوطنية انما تصونها وتضمنها القوة، لا الوعود، والعهود والمعاهدات، والمؤتمرات، فان الغرب لا يبالي بشيء منها بل انما يهاب القوة، والقوة وحدها تجعله يحترمها — فعلى أهل البلاد الاسلامية أن يتحدوا ويتعاونوا ويتناصروا ويرتبطوا بالقوة المركزية الاسلامية، ثم ليعملوا لطرد الاعداء من أوطانهم — ان أحبوا — بلائحة (اللاتعاون السلمي) الهندية بعد أن يجعلوها ملائمة لحالتهم الاجتماعية والسياسية[1]

﴿ مجلة المنار الغراء ﴾

خصصت مجلة (المنار) الغراء بنشر هذا الخطاب لأنها الخليقة بمثله لاياديها البيضاء في الاصلاح الديني وقدحها المعلى في النهضة الاسلامية الحديثة، فانها لا تزال تجاهد جهادا عظيما منذ ربع قرن لاحياء المسلمين، وتقاوم الاستبداد والقهر والجمود

(١) ان ما ذكره الكاتب في هذه المسئلة مبني على النظريات العامة المجملة التي يهتم بها كل مسلم بقدر غيرته الاسلامية ويتمنى ما يقترحه مسلمو الهند من توحيد القوة الاسلامية بقدر رسوخ التوحيد بالله في قلبه، ولكن بين النظريات والعمل عقبات لاعقبة واحدة أهمها أن المانع من اتحاد العرب مع الترك مشترك بين الفريقين والعرب أقرب الى الترك منهم اليهم، مع أن المجاورين لهم منهم ليس أمرهم في ايديهم، وان سبب هذه العقبات كلها وعلة عللها العصبية الجنسية التي استحدثها الترك لجعل السلطة — التشريعية والتنفيذية — تركية لا اسلامية، ويعبرون عنها « بالحاكمية الملية » ويعنون بالملية النسبة الى ملة الترك. ويشترطون أن تكون لغة التابع لدولتهم هي التركية دون سواها. وكان من أصول برنامجهم إسقاط دولة آل عثمان وإزالة سلطة الخلافة من الدولة لتحقيق الحاكمية الملية التركية — وقد فعلوا عندما تمهدت السبيل — فالعرب لا يابون الاتحاد بالترك عند الامكان على قواعد الشريعة الاسلامية العربية مع محافظة العرب على لغة الشريعة والقرآن وحرية الترك في لغتهم — فعلى اخواننا الهنود وغيرهم من أهل الغيرة أن يضعوا لهذه الوحدة النظام الذي نساعدهم عليه بمقالنا الحافل في الخلافة الاسلامية ونحن نعتقد ان السواد الاعظم من العرب يوافقون عليه ويسبقون الترك الى تنفيذه بالرغم من دسائس الاجانب وأعوانهم من الحجازيين

والتقليد من زمن بعيد ، بل انها أول صوت ارتفع بعد أجيال كثيرة لاعلاء كلمة الحق ، وأعظم منار رفع للهداية الى الصراط السوي، فانها هي التى قد مزقت ظلمات التقليدالتى كانت محيطة بالمسلمين ، و بصرتهم سبيل الاسلام ودين الحق التى كانت عميت عليهم ، ولم يكن هديها محصوراً في البلاد العربية ، بل شمل العالم الاسلامي كله ، فانه كثيرا ما استفاد منها ، وتنور بأفكارها ، وان صاحب هذا الخطاب — الذي وضعنا له هذه المقدمة — لايزال يعترف لها ويعدها أصح دعوة اصلاحية ظهرت بين المسلمين في القرون الاخيرة . اه (عبد الرزاق)

الخطاب

الذى خاطب به المحكمة الانكليزية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام

إنى قد كنت عازما على أن لا أقدم الى المحكمة بيانا ما ، لانها مكان لا رجاء لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكرى اليه ، وإنما هى كمنعرج الطريق الى المنزل لا بد من قطعه للسابل ، ولذا نقف فيه وقفة على كره منا، والا لدخلنا السجن تواً

إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أبحن تقديم بيان الى المحاكم ، لا للدفاع بل لاعلام الامة بالحقيقة ، بيد أني ما برحت أشير على الناس بان يؤثروا الصمت على الكلام ، وأن يقاطعوا المحاكم مقاطعة تامة . وذلك لاني أرى أن كل من يقدم بيانا لدحض التهمة وكشف الحق — وان كان قصده به اعلام الجمهور — لا يسلم من الظنة ، اذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى هوى للتخلص من العقاب ، أو في اعماق قلبه أقل رجاء في عدل المحاكم . مع أن سبيل « تارك التعاون » مستقيم نير ، لا ينبغي أن توسخه الظنون والشبهات .

اليأس التام من العدل

إن « اللاتعاون » نتيجة لليأس التام من الحالة الحاضرة ، وهذا اليأس هو الذي ألجأ الامة الى أن تغيرها ، وتتبدل غيرها بها ، فكأن من يقاطع الحكومة

ويأبى معاونتها ، يعلن بانه يئس من عدلها وحبها للحق ، وأنه لا يعترف بها بل يعدها حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية ، لهـذا يود إسقاطها وتحطيمها . أفبعد هذا يرجع القهقرى فينتظر منها أن تنصفه كحكومة عادلة صالحة للبقاء والدوام ؟

وان غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة ، فان السعي للتبرئة من التهمة ليس الا فعلا عبثا وانكاراً للحقائق . اذ كل بصـير يعلم أنه لا رجاء في المحاكم أن تنصف وتعدل في الحالة الحاضرة ، لا لان رجالها لا يحبون العدل ، بل لانها سائرة على نظام لا يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة نفسها أن تنصفهم

واني ههنا أصرح بان خطاب « اللاتعاون » ليس مع الافراد والآحاد ، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها

موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة !

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بفذة ، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجـه الحرية والحق ، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفتك بها كيف تشاء ، وليس هـذا بعجيب ، فان المحاكم تملك قوة قضائية ، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء ، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لاقامة العدل والحق . و بيد الحكومات الجائرة أفظع آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح

والتاريخ يدلنا على ان قاعات المحاكم كانت مسارح للفظاعـة والظلم بعـد ميادين القتال ، فـكما أهريقت الدماء البريئـة في ساحات الحروب ، حوكمت النفوس الزكيـة في ايوانات المحاكم ، فشنقت وصلبت وقتلت والقت في غياهب السجون . وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الانبياء والحكماء والعلمـاء والصالحين ، إلا ونراها واقفـة كالجناة والمجرمين في قاعات المحاكم امام القضاة . نعم ان كر الايام ومر العشي قد محا كثيرا من مساويء العهد القـديم . فلا

يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحي. ولا جمعيات التفتيش السرية (Jnquisiton) التي كانت في القرون المتوسطة. ولكني لا استطيع الاعتراف بان عصرنا هذا قد نجا من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم — حقا ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكا . ولكن من ذا الذي يقدر ان يقلب تلك القلوب التي تكمن فيها الاسرار المخيفة لحب الذات والظلم ؟

مقام عجيب ولكنه عظيم !

ان جدول مظالم المحاكم وفظائعها طويل عريض ـ تلك المظالم التي لم يفرغ التاريخ الى الآن من البكاء منها ـ فنرى فيه اسم المسيح (ص) الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر الى شرب كأس السم ، لانه كان اصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غيليلو الذي لم يكذب مشاهداته العلمية لانها كانت جناية في عين القضاة والمحاكم — وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه انسان . ولكن الملايين من الناس يعتقدون انه فوق هذا — اذن ما اعجب قفص الجناة ! وما اعظم شأنه ! إنه موقف الصنفين معاً : الابرار والاشرار ! حتى انه كان لائقا بهذا الوجود العظيم !

حمداً وشكراً

واني اذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، يسبح روحي بحمد الله ويلهج لساني بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، اذ أحسبني في هذا القفص محسوداً للملوك والسلاطين العظام ، فاين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري ؟ وياليت الانسان الغافل والعاكف على هواه ، يشعر بنفحة منها ! واني أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثول في هذا المكان ، ولنذروا النذور لاجله !

لم أخاطب المحكمة ؟

إني كنت عازما على السكوت في المحكمة ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم في اثبات جريمتي الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع (كلكتا) وهما لا يحتويان على جميع الامور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي ان قدمت كانت انفع لمقصدها — علمت أنها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذى يعتبر في هذه الايام كافيا لانزال العقاب . مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى — فغيرت قصدي وقلت ان العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له . فأردت أن أثبت بلساني الامر الذي لا تستطيع الحكومة اثباته مع علمها به وشدة رغبتها في اثباته — واني أعلم ان قوانين المحاكم لا توجبه علي ، ولا تضطرني الى الاعتراف به من تلقاء نفسي . ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية . وهو الذي يسوقني الى ماسأقوله . اذ ليس من الحق أن ندر شيئا مستورا . لان الخصم لا يستطيع اثباته

الاعتراف بالجناية

ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب الامم في طور ضعفها ووهنها . وهو من طبعه يبغض الحركة الوطنية والحرية والمطالبة بالحقوق بغضاً شديداً . لانه يعلم أنها اذا نجحت سقطت قوته الظالمة وامحى وجوده الفاحش . وما من وجود يحب سقوط نفسه وزواله مهما يكن زواله ضروريا في عين الحق والانصاف . فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تنازع للبقاء» و«تزاحم فى الحياة» كل من الفريقين يجد ويكد للفوز والبقاء : الامة تريد أن تنال حقها المغصوب ، والاستبداد يأبى عليها ولا يريد التزحزح عن مقامه ، ولا تثريب عليه ، لانه — وان كان وجوده خلافا للحق — يدافع عن نفسه وحياته ، وليس لنا أن ننكر مقتضيات الطبيعة ، فكما يسعى الخير لبقائه ، يسعى الشر أيضاً ، ومهما يكن ملوما في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة

وقد بدأ التزاحم في الهند بين هاتين القوتين: الحرية والاستبداد — فليس ببدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جناية في عين الاستبداد . وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا للعقاب الشديد — فمادام الامر كذلك فاني أعلن على مسمع من المحكمة والحكومة بانني أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكابا واقترفتها اقترافا . وان كانت الحكومة لا تعلم — وهي لتعلم — فلتعلم الآن أني من اولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمتهم . ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وتثميرها . بل اني ولا فخر — أول مسلم في الهند دعا أمته من اثنتي عشرة سنة الى هذه الجناية دعوة عامة ، وحول وجهتها في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها الى الحرية التي قد أشرقت شمسها الآن ولن تنكسف أبدا . فان كنت آثما في زعمها فلتعاقبني بما تشاء . فها أناذا معترف بالجناية بصدر رحب ولسان طلق ، غير جزع منها ولا نادم عليها . لان هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل !

وانى لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لاني وان ألفيتها تدعي العصمة من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها . أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح في لينه وحنانه . فاذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعداءها وتحبهم كأصدقائها ؟ واعلم انها لا تعاملهم الا بتلك المعاملة التى نراها منها الآن. والتي مازال الاستبداد يختارها لحق الحرية والحق وخنق أصحابه وحماته ـ فالشدة والغلظة من الحكومة شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكو أو نعجب منه . بل على كل من الحزبين أن يعملا على مكانتهما حتى يفصل الله بينهما وهو خير الفاصلين

(ثم قال بعد هذا انه لم يقبض عليه لاجل الخطبتين اللتين قدمتا في المحكمة بل ليخلو للحكومة جو كلكتا . كيلا يقاطع احتفال ولي عهد انكلترة عند قدومه اليها . وتضعف الحركة الوطنية والاسلامية . ثم ذكر أشد ما في الخطبتين وهو ما يلي) :

أشد ما في الخطبتين

ان الحكومة التي تأسست على الظلم لظالمة وهي إما أن تتوب من ذنوبها وفظائعها وتخضع للحق وأما أن تزول من الوجود ! »

أيها الناس ! ان كنتم تتألمون لاخوانكم الذين قبض عليهم فعلى كل منكم أن يبت في نفسه الآن : هل هو راض بان تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا كما كانت عند القبض على اخواننا ؟

اذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة وهي أن لا تدعوا فرصة لاعدائكم المكارين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم بغير حساب . . .

إن بعض الناس يظن أن الخطيب اذا فاه بمثل هذه الاقوال يحتاط لنفسه ، والا فانه بالحقيقة لا يقصد بها شيئا ، ولكني أيها الاخوان أعتقد أنه ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لاجلكم خوافين من السجن أو الاعتقال ، أو مخلصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقولهم ان أعمالنا يجب أن تكون بالامن والنظام — لا ، لا ، ان هذا لا يتصور أبداً ، بل الحق الذى لا مراء فيه أنهم يقولون ذلك لانهم يرون نجاحكم متوقفا على الامن والنظام اذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتسلح بها هذه الحكومة ، وانما الاسلحة التي لديكم هي الايمان والضمير وقوة التضحية — فاستعملوها في وجهها تنجحون . ، والا فلا نجاح لكم بالاسلحة المادية »

أيها الناس ! ان كنتم تريدون أن تعرقلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه كثيرة ، ولو كنت لا سمح الله من المحبين للحكومة لبحث بها ودعوتكم اليها ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب) الحرب التي لا تنتهي في يوم واحد بل تمتد الى يوم الفصل ، وما أدراكم مايوم الفصل؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه هذه الحكومة الجائرة واما ان تفني ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية !

الاعتراف فوق الاعتراف

ان كانت هذه التصريحات (جناية) فانى معترف بأن قلبي قد اشتغل بها ولساني نطق بها وانى أنا الذى صرحت بها أمام عشرات الالوف من الناس ، ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد وتحصى ، بل ما برحت أقول أكبر وأشد منها، ذلك بانى أعتقد أن الصدع بهاواجب علي ولن يمنعنى من أداء الواجب كونه معاقبا عليه بقانون ١٢٤ من القوانين الهندية (١) بل انى لاجدني الآن مدفوعا الى التصريح بها أمام المحكمة ولا أزال قائلا بها مادام لسانى بين أسنانى ، وروحي في جثمانى — وإن لم أفعل ذلك أكن ظالما لنفسي وعاصيا عند الله وعند الناس أجمعين !

الحكومة الحاضرة « ظالمة ! »

نعم اني قلت « ان الحكومه الحاضرة ظالمة » وان لم أقل هـذا فماذا اقول يا ترى ؟ وأيم الله اني لاعجب كيف يطلب مني أن أسمي شيئا بغير اسمه وأن أدعو الاسود بالا بيض ؟

ان ما قلته هو اهون ما يجب ان يقال في هـذا الباب ، اذ لا اعـلم حقيقة ملفوظة اخف منه

لا ريب أني ما زلت اقول انه ليس الا ان تتوب الحكومة من آثامها وتغير خطتها وترجع عن ظلمها فان لم تستطعه فبعـداً لها وسحقا ! وليت شعري ماذ يقال غير هذا ؟ الشر اما ان يصلح واما ان يزول ، وهل بينهما طريق آخر ؟ ان هذه الحقيقة قديمة العهـد طويلة العمر لا يضاهيها في الكبر الا الجبال والبحار

(١) أن مادة ١٢٤ هذه مثل المادة ١٥١من القوانين المصرية الخاصة بالذين يحرضون على كراهية الحكومة باي واسطة من وسائط النشر أو الصور أوالكلام أو الخطابة الخ (المترجم)

واني ما دمت اعتقد ان هـذه الحكومة من اولها الى آخرها شر على شر فكيف أستطيع ان ادعو لها واقول: دومي ولا تصلحي

لماذا أعتقد هذا ؟

لماذا اعتقده انا وملايين من ابناء وطني واخوان ديني؟ الجواب اصبح الآن واضحا جليا حتى يصح ان يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي (ملتون) : انه بعد الشمس اوضح شيء واجلى محسوس . على اني اصرح ههنا بأني اعتقد ذلك لاني هندي ولاني مسلم ولاني انسان

الحكم الشخصي ظلم بالذات

اني أعتقد أن الحرية حق طبيعي لكل انسان ولكل أمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ــ وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا ــ وسم الاستعباد والرق بأي اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق ، ومشيئة الله وناموسه يمقته وينفيه ، واني لاجله لا أعترف بالحكومة المستبدية بل أعدها حكومة غير شرعية ، لانها مستبدة طاغية ، استعبدت البلاد وقهرت العباد ، داست الشرائع وخانت المواثيق ، ليسخطها الشعب ويمجها الحق ، فهي معدومة في نظر الامة وان كانت موجودة بقوة السلاح ، وأرى واجباتي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بأن أحرر بني جلدتي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ولا يقاطع كلامي « بالاصلاحات الادارية » و« الترقي التدريجي » كلمات خطتها الحكومة وزخرفتها لتخادع به البله والحمقى ـــ أما أنا فلا أخدع بها ، إذ الحرية في اعتقادي حق طبيعي للانسان ، وليس لاحد أن يحدد ويقسم في تأدية الحقوق ، وان مثل الذي يقول ان أمة تنال حريتها تدريجا كمثل الذي يقول للدائن يرد اليك الدين قسطا قسطا ، نعم ان لم يستطع أخذه دفعة واحدة يضطر

الى قبوله بالاقساط ، ولكن لا يسقط به حق الاخذ مرة واحدة

« الاصلاحات » وما هي « الاصلاحات ؟ » وان هي الا كما قال الفيلسوف الروسي تولستوي : ان أبيح للمسجونين انتخاب سجانهم بالاصوات ، فانهم الا يصيرون به أحرارا »

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوي ، أما السؤال الاساسي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ فاني أعتقد ان مثل هذه الحكومة الاجنبية المتسلطة ، باعتبار أصل خلقتها غير شرعية ، لان نفس وجودها ظلم وشر ، فهي لولم ترتكب جميع تلك الفظائع التي ارتكبتها بهذه الكثرة ، لكانت في اعتقادي ظالمة وجائرة ، ويكفي لقبحها وشناعتها أنها موجودة — نعم نعترف بحسناتها ان كانت لها حسنات ، ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي — ومثاله أن لو تسلط أحد على بيتنا وأداره إدارة حسنة. وعمل أعمالا صالحة ، فانه بهذه الحسنات لا يصير تسلطه حقا وشرعيا

ان الشر يصح أن ينعت ويقسم بالكم والكيف ، فتقول « كم هو وكيف هو ؟ » ولكن لا يصح نعته وتقسيمه بالحسن والقبيح ، فلا تقول « أحسن هو أم قبيح ؟ » نعم يقال « سرقة قبيحة » و « سرقة أقبح » ولكن لا يقال « سرقة حسنة » و « سرقة قبيحة » وهكذا الاستبداد ، فاني لا أستطيع أن أتصوره حسنا وشرعيا في حال من الاحوال ، لانه بذاته ووجوده قبيح وشر وغير شرعي نعم ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة ، وأقل ظلما وأكثر لينا من غيره ، ولكن الاستبداد الذي دهم الهند لم يقف عند قبحه الخلقي ، بل مازال يكتسب السيئات فوق السيئات ، والمنكرات تلو المنكرات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فاذن كيف لا يعلن ظلمه ولا يشهر قبحه ، ولا يشدد النكير عليه ؟

الاسلام والاستبداد

اني مسلم ، ولأني مسلم وجب علي أن أندد بالاستبداد وأقبحه وأشهر مساويه وليعلم أن الاسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ، ولا بحكومة عصبة من

الموظفين ينقدون رواتبهم ، لانه نظام كامل للجمهورية ، وانما جاء ليرد الى النوع الانساني حريته المغصوبة التي كان اغتصبها الملوك المستبدون ، والحكومات الاجنبية ، والرؤساء الروحانيون ذوو الاهواء ، والرجال الاقوياء من الجماعة ، وقد كانوا يعتقدون أن الحق للقوة والتسلط ، والقهر والغلبة ، ولكن الاسلام بمجرد ظهوره أعلن أن الحق ليس في القوة ، ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق ، وانه ليس لاحد من البشر أن يعبّد عباد الله ويذلهم ويسخرهم — ثم قضى على سائر الامتيازات والمناصب المؤسسة على الغلبة القومية والجنسية قضاء تاما — وبين أن الناس كلهم متساوون في الانسانية ، متساوون في الحقوق ، متساوون في الحياة ، وليس اللون والجنس والنسل معيارا للفضل والحسب ، وانما معياره « العمل » وحده ، فأعلاهم قدرا وأكرمهم حسبا ، أحسنهم عملا وأتقاهم لربهم (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم) « الحجرات »

الاسلام نظام جمهوري

ان الاسلام أعلن « حقوق الانسان » قبل انقلاب فرنسا بأحد عشر قرنا ، وليس مجرد اعلان ، بل وضع نظاما عمليا للجمهورية الحق بالغا في الكمال منتهاه ، ونظيرا لنفسه في الاتقان ، كما قال المؤرخ الشهير (غبون — أو — جبون) فكانت حكومة نبي الاسلام وخلفائه الاربعة ، جمهورية كاملة ، تتشكل برأي الامة وانتخابها ونيابتها — ولذا توجد في مصطلحات الاسلام كلمات جامعة لهذا الغرض لا توجد مثلها في لغة ما - فحيث إنه لم يعترف بوجود ملك ومنصبه ، وعوضه بمنصب لرئيس الجمهورية ، سماه « بالخلافة » وهي في اللغة « النيابة » وسمى صاحبها « بالخليفة » أي « النائب » الذي لا يملك قوة ولا نفوذا بنفسه ، وكذلك اختار لنظام الجمهورية كلمة « الشورى » ووصف المسلمين بقوله (وأمرهم شورى بينهم) والشورى ضد الاستبداد ، فقرر به أن جميع أعمال الحكومة يجب أن تكون برأي الجماعة وشوراها ، لا برأي شخص وحكمه — فأي اسم للجمهورية ورئيسها ونظامها

يكون أحسن وأجمع من هذه الاسماء الاسلامية ؟

البيوروكريسي الوطني والاسلامي ظلم أيضاً

فما دام الاسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة اسلامية لم تتشكل برأي الامة وانتخابها . فما تكون قيمة هذا « البيوروكريسي » الاجنبي Burocreci في عين المسلمين ؟ وهب انه لو تقوم الآن في الهند حكومة اسلامية على نظام شخصي . أو تكون بيوروكريسيا لطائفة من الوطنيين ، فان الاسلام يوجب علي أن أسميها أيضا ظالمة وجائرة ، وأسعى لخرابها ونقضها كما أفعل الآن . ولست بيدع فعلماء الاسلام مازالوا يجاهرون بظلم الولاة ويحاسبون المستبدين من المسلمين أنفسهم

وإني لاعترف بكل الاسف أن نظام الاسلام الجمهوري لم يعمل به طويلا بل أضلت القيصرية والكسروية ولاة المسلمين ، فحادوا عن الطريق وآثروا التشبه بقيصر وكسرى واستنكفوا من التشبه باسلافهم الخلفاء الراشدين ، الذين عاشوا طول حياتهم في ثياب رثة كآحاد الناس ، بيد أنه لم يخل عهد من أصحاب الحق الذين ناقشوا الملوك والسلاطين في استبدادهم وتفردهم بالحكم ، وتحملوا جميع تلك المصائب التي صبت عليهم في هذه السبيل بوجوه مستبشرة

الوظيفة الملية للمسلمين إعلاء الحق واعلانه

ولعمري ان المطالبة من مسلم بأن يسكت عن الحق ولا يسمي الظلم ظلما ، مثل مطالبته بأن يتنازل عن حياته الاسلامية ، فان كنتم لا ترون لانفسكم أن تطالبوا أحدا بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلما بأن يمتنع عن قوله للظلم إنه ظلم ، لان معنى كلتا المطالبتين واحد —

إن التصديق بالحق واعلانه عنصر ضروري للحياة الاسلامية ، فان فصل عنها فقدت أكبر ما تمتاز به ، لان الاسلام أسس قومية المسلمين عليه ، وجعلهم

شهداء الحق على العالم كله ، فكما يجب على الشاهد أن لا يتوانى في ابداء شهادته كذلك يتحتم على المسلم أن لا يتمتع في أعلاء الحق ، ولا يبالي في اداء فرضه بعصبية وابتلاء ، بل يصدع به حيثما كان ، ولو لاقى دونه الحمام — وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عند ما يسود الظلم والجور ، ويمنع الناس من اعلان الحق بالعنف والشدة ، لانه ان أجيز السكوت عنه خوفا من بطش الجبارين الذين يقطعون الالسنة ويفتنون الابدان بأنواع من العذاب ، يصبح الحق في خطر دائم ، ولا يبقى لظهوره وقيامه من سبيل ، مع أن ناموس الحق فوق القوة ، وليس يحتاج في ثبوته الى تصديق القوة ، ولا يضره سكوت الناس عنه قاطبة . بل انه يظل على كل حال حقا ، حقا عند ما نجد في سبيله ما نحب ونشتهي ، وحقا عند ما يكون دونه الموت الزؤام ، وهل تصير النار بردا ، والثلج نارا لاننا نحبس ونسجن ؟

وجوب الشهادة بالحق وخطر كتمانها

لهذا أنبئ المسلمون في كتابهم انهم « شهداء الحق » في أرض الله ، فالشهادة بالحق والصدع به وظيفتهم الملية وديانتهم القومية التي تميزهم عن سائر الامم الغابرة والآتية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس !) وقال لهم نبيهم (ص) « أنتم شهداء الله في الارض » (١) فالمسلم مادام مسلما لا يستطيع كتمان هذه الشهادة ، وان حبس أو قتل أو ألقي جسده في النيران المتأججة —

وأخبر القرآن بأن من يكتم شهادته يبوء بغضب الله ، ومأواه جهنم وبئس المهاد ! وكذلك أنبأ أن الامم الكبيرة لم تهلك الا لانها كتمت الحق : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٢) وقال : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون !)

(١) رواه البخاري (٢) من سورة البقرة

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولذا نجد «الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» من آكد الفرائض الاسلامية وقد أخبر القرآن أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أساس لعظمة المسلمين وفخارهم القومي ، وأنهم خير الامم لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وانهم ان حادوا عنه يفقدون سؤددهم ومجدهم الشامخ (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر – ٣:١٠٦) وقال النبي (ص) «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم » رواه الترمذي عن حذيفة

وأما أداء هذه الفريضة فعلى ثلاث درجات في ثلاث حالات مختلفة قال : النبي صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » (رواه مسلم)

وحيث إننا لسوء حظنا لا نقدر في هذه البلاد على تغيير منكرات الحكومة بأيدينا لجأنا الى الدرجة الثانية التي في وسعنا وهي أن نعلن بألسنتنا ظلمها ومساوئها ، ونندد بمثالبها ونشهر بمعايبها

الاركان الاربعة

ان القرآن وضع أساس الحياة الاسلامية على أربع دعائم : الايمان ، والعمل الصالح ، والتوصية بالحق ، والتوصية بالصبر — فالايمان والعمل الصالح معناهما ظاهر — أما « التوصية بالحق » فهي أن يوصي كل أخاه بالتزام الحق

« والتوصية بالصبر» هي أن يتواصيا بتجشم المهالك وتحمل النوازل في سبيل الحق ، وانما قرنت هذه بتلك لان وقوع المحن والمشاق أمر لا مناص منه في سبيله : (والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

التوحيد الاسلامي والامر بالمعروف

التوحيد أساس الاسلام ، وقطب رحاه ، وضده « الشرك » الذي أشرب المسلمون بغضه في قلوبهم ، ومعنى التوحيد أن يوحدالله في ذاته وصفاته. والشرك هو أن يجعل له سبحانه شريك في ذاته أو صفاته — والتوحيد يعلم المسلمين أن الخوف والخشوع لا يكون الا لله الواحد العظيم ، أما غيره فلا يخاف منه ولا يخشع له ، وان من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة. وهذا ما لا يجتمع مع التوحيد أبدا

الاسلام من أوله الى آخره دعوة عامة الى البسالة والجرأة والتضحية والاستهانة بالموت في سبيل الحق والقرآن يكرر هذا مرة بعد أخرى : (لا يخشون أحدا الا الله. وكفى بالله حسيبا ٣٣ : ٣٩) (من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ٩ : ٢٠) (ولا يخافون لومة لائم ٥ :٥٨) (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلاتخافوهم وخافون ، ان كنتم مؤمنين ٣:١٧٥) (أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه ، ومن يضلل الله فما له من هاد ٣٩ : ٣٥)

والرسول (ص) يقول : «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه ، فقتله» رواه الحاكم عن جابر على شرط الصحيحين وفي رواية « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي) وقد كان يأخذ العهد من أصحابه ان يقولوا بالحق اينما كانوا (كما رواه عبادة بن الصامت وأخرجه الشيخان)

وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا العظيمة الكثيرة في إعلاء كلمة الحق التي قدمتها الامة الاسلامية في كل دور من حياتها ، فتراجم علمائها ومشايخها وسادتها عبارة عن هذه الضحايا

ألا فلتعلم الحكومة الانكليزية أن المسلم الذي أمره ربه أن يرحب بالموت

الاحمر ، ويتغلغل في لجج الدواهي والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق لا يخيفه قانون ١٢٤ من العقوبات الهندية ولا يرده عن دينه وأداء فريضته — اذ أكبر عقاب في هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه في سبيل الحق —

لا يوجد في الاسلام قانون ١٢٤

إن تاريخ الامة الاسلامية ينقسم الى دورين مختلفين ، فالدور الاول ، دور نبي الاسلام (ص) وخلفائه الاربعة ، وقد كان النظام الاسلامي الجمهوري فيه قائما بأتم معانيه ، فكانت الامة متمتعة بالجمهورية الحق ، ترتع في رياض المساواة الاسلامية العامة ، وتعيش عيشة هنيئة في ظلال الحرية الكاملة ، لا تخيفها الملكية المطلقة ، ولا تثقل كواهلها القيصرية والكسروية ، خليفتها ورئيس جمهوريتها من آحادها ، تنصبه بأيديها وتحاسبه في جليل الامور وحقيرها ، ولا تسمح له أن يجحف بها أو يستبد برأيه دون رأيها ، وهو نفسه يكون من أعدل الناس وأفضلهم وأعلمهم بوظائف الخلافة والحكومة ، يعيش عيشة الفقراء والمساكين ، يستر جسده بأطمار بالية ، ويسكن في كوخ حقير ، ولم يكن اذ ذاك بدار الخلافة الاسلامية « القصر الابيض » لجمهورية أمريكا

وقد كان المسلمون في هذا الدور يقاطعون الخلفاء ويناقشونهم وهم على المنابر يخطبون ، حتى إن عجوزا من عجائز العاصمة كانت تتجرأ عليهم وتخاطب الواحد منهم على ملأ من الناس بقولها ان تزغ عن الحق نقومك بسيوفنا ! » والخليفة لا يؤاخذها ولا يعاقبها على ذلك بجناية « الثورة » بل يشكر الله ويحمده ان وجد في الامة ألسنة صادقة ذربة في اعلان الحق كهذه العجوز — وقد قام الخليفة مرة يوم الجمعة خطيبا وقال (اسمعوا وأطيعوا) فرد عليه رجل قائلا . والله لا نسمع ولا نطيع لانك خنت الامانة ، وأخذت القماش أكثر من سهام المسلمين ، فنادى الخليفة ابنه ، فشهد ان أباه لم يخن المسلمين ، بل اني قد أعطيته سهمي من

القماش ، ومن سهمينا فصلت الجبة والرداء

وقد كان سير الامة هذا مع ذلك الخليفة الذي كانت تقشعر من خشيته جلود الملوك في عقر دورهم ، وتخر أمام هيبته عروش فارس ومصر ، وتزلزل من بأسه جدران القسطنطينية ، ولكن مع هذا كله لم يكن عند الحكومة الاسلامية قانون ١٢٤ يحاكم به الخليفة معارضيه من أصحاب الحق

أما الدور الثاني فدور الحكومة الشخصية والملكية المطلقة ، بدأ باستيلاء بني أمية على الخلافة قهرا وعنوة ، فانقلبت فيه الجمهورية الاسلامية على رأسها وحل الاستبداد والقهر محلها ، وظهر مكان الخليفة الاسلامي ملك مكلل بتاج الملك متربع على عرش الحكومة المذهب . ولكن استبداد هذا الدور مع سائر عقوباته المريعة من الجلد بالسياط ، والحبس في السجون ، والقتل بالسيوف ، لم يستطع أن يصد المسلمين عن اعلان الحق ، ويقعدهم عن الذود عنه وحمايته ، بل ظلت ألسنتهم حادة ذلقة في اعلانه ، ونفوسهم متهيئة لتقديم المهج في سبيله ، فأصحاب الرسول (ص) ما عاشوا ظلوا ينددون بظلم الولاة ويشهرونه ، ويطلبونهم بتغييره ، وجعل الحكومة شورى بين المسلمين (١) ثم قام مقامهم التابعون الذين تربوا في حجورهم وتخلقوا بأخلاقهم ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، ماهابوا غير الله ، وما داهنوا أحدا من خلقه — بل كانوا يجهرون بالحق ، ويقولون للجبابرة والطواغيت « أصلحوا ، أو زولوا ، أزالكم الله ! » وقد عد الامام محمد الغزالي أولئك الصحابة والتابعين الذين كانوا الى زمن الخليفة هشام بن عبد الملك وأنكروا ظلم الامراء وطالبوهم بحكومة الشورى والنيابة ، فبلغ عددهم أكثر من ثلاثة وعشرين رجلا (٢) واني أنبه ههنا أنه لا يوجد في شريعة الاسلام قانون

(١) أراد معاوية بن أبي سفيان ان يجعل ابنه يزيد خليفة بعده واخذ يكره الناس على مبايعته فقام عبد الرحمن بن ابي بكر فرد عليه قائلا « اهرقلية؟ اذا مات كسرى قام كسرى مكانه والله لا نفعل ابدا ! »

(٢) المنار : ليس هذا من قبيل الحصر بل ما اتفق من الروايات التى تنقل الاسوة والقدوة والا فالمنكرون للمنكر لم يكن حصرهم ممكنا

١٢٤ (من القوانين الهندية) الذي كان يمنع هؤلاء الاخيار، من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعلان الحق، وتقبيح الظلم

طلب الخليفة الاموي الشهير هشام بن عبد المطلب، طاوس اليماني يوما الى مجلسه فلما دخل عليه، لم يسلم عليه بأمرة المؤمنين، ولكن قال « السلام عليك ياهشام! » وجلس بازائه، وقال « كيف أنت ياهشام؟ » فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله، وقال له « ياطاوس: ما الذي حملك على ماصنعت؟ » قال « وما الذي صنعت؟ » فازداد غضبا وغيظا، وقال « خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تقبل يدي، ولم تسلم علي بأمرة المؤمنين، ولم تكنني، وجلست بأزائي بغير أذني، وقلت كيف أنت ياهشام » قال (اما ماذعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك فأني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، وأما قولك لم تقبل يدي، فاني سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول، لايحل لرجل أن يقبل يد أحد، الا امرأته من شهوة، أو ولده من رحمة — وأما قولك لم تسلم علي بأمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بأمرتك. فكرهت أن أكذب — وأما قولك جلست بأزائي، فاني سمعت أمير المؤمنين عليا يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام » فقال هشام عظني، فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن في جهنم حيات كالقلال، وعقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. ثم قام — انتهى ملخصا

وكان مالك بن دينار ينادي في جامع البصرة « ان الله دفع الى هؤلاء الملوك غنما سمانا صحاحا، فأكلوا اللحم، ولبسوا الصوف، وتركوها عظاما تتقعقع! »

وخاطب أبو حازم سليمان بن عبد الملك الجبار بقوله « ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل فيهم! » فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت، قال أبو حازم: ان الله قد أخذ الميثاق

على العلماء «ليبيننه للناس ولا يكتمونه!» قال سليمان ، وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال : أن تأخذه من حله ، فتضعه في حقه .فقال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان أدع لي ، فقال أبو حازم « اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى!» فقال سليمان : أوصني ، فقال : أوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك من حيث أمرك !

وكان سعيد بن المسيب التابعي الكبير يقول على رءوس الاشهاد في ولاة زمنه: يجيعون الناس، ويشبعون الكلاب !

وقد ظل علماء الاسلام على هذه الديدنة بعد عهد بني أمية ، غير هيابين ولا وجلين في عهد العباسية ، فهذا المنصور الخليفة العباسي القهار لما قال لسفيان الثوري « ارفع الينا حاجتك » رد عليه قائلا « اتق الله ! فقد ملات الارض ظلما وجوراً ! »

ولما استقر على منصة الخلافة هرون الرشيد الخليفة العباسي الشهير ، كتب الى سفيان الثوري كتابا بيده يقول فيه :

« من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين ، الى أخيه سفيان بن سعيد ابن المنذر — أما بعد يا أخي ! قد علمت أن الله تبارك وتعالى آخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله ، واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ، ولم أقطع منها ودك ، واني منطو لك على أفضل المحبة — واعلم يا أبا عبد الله ! أنه ما بقي من اخواني واخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بما صرت اليه ، وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي ، وقرت به عيني ، وإني استبطأتك فلم تأتني ، وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديداً — ، وقد علمت يا أبا عبد الله ، ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فاذا ورد اليك كتابي فالعجل العجل »

وهل يعلم اللورد ريدنغ من كان هذا الرشيد الذي يكتب الى عالم من

علماء المسلمين بهذه اللهجة اللينة ؟ انه قد كان يحكم ربع الكرة الارضية ويخاطب قيصر الروم في كتاب منه اليه « بيا ابن الكلب » كما صرح به المؤرخ جبن الانكليزي — ٨ ثم هل علم بما رد عليه ذلك العالم ؟ ان لم يعلم فليسمع مني جوابه ثم يتدبر فيه ، فانه يجلي له ما خفي عليه من حقيقة الاسلام ، وجرأة المسلمين في اعلان الحق ، و يبين له أن ما تطلبه حكومته منا لا ينال ، وان المسلم لا يمتنع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو فجع في النفس والمال

قد كان من حديث سفيان أنه لما أتاه الرسول بكتاب الخليفة ، كان في مسجد الكوفة وحوله أصحابه ، فرمى اليه الرسول الكتاب ، فلما رآه ارتعد وتباعد منه ، كأنه حية عرضت له — ثم أدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذ الكتاب فقلبه بيده ثم رماه الى من كان عنده ، وقل يأخذه بعضكم يقرؤه ، فاني استغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ، فلما فرغ من قراءته ، قال « اقلبوه وا كتبوا الى الظالم في ظهر كتابه » فقيل له « يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال : ا كتبوا الى الظالم في ظهر كتابه ، فان ا كتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وان كان ا كتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا ، فيفسد علينا ديننا » ثم قال ا كتبوا :

« من العبد المذنب سفين بن سعيد بن المنذر الثوري ، الى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد ، الذي سلب حلاوة الايمان : أما بعد . فاني قد كتبت اليك أعرفك أن قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وقليت موضعك ، فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه ، وأنفذته في غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني ، حتى كتبت الي تشهدني على نفسك — أما أني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى — ياهارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها في أرض الله تعالى ، والمجاهدون في سبيل الله ، وابن

السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم ، والارامل والايتام ؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد ياهارون مئزرك ، وأعد للمسألة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل ، فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ، وللظالمين اماما ، ياهارون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ، وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون

أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك ياهارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى : (أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة ؟ فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وامام الى النار . كأني بك ياهارون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق ، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسيئات غيرك في ميزانك ، زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتي ، واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية والسلام اه

فلما وصل هذا الكتاب الى هارون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه ، ويقرأ ويشهق . ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي — انتهى ملخصا

ولم يكن العلماء والائمة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وحدهم ، بل كان يوجد اذ ذاك من دهماء المسلمين وعامتهم من يؤدي هذه الفريضة بكل شجاعة ورباطة جأش — فبينما كان الخليفة المنصور العباسي يطوف بالبيت اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول « اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع » فدعاه المنصور وقال : ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من

الطمع والظلم ؟ ، فقال الرجل الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض أنت » قال المنصور « ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي ، والحلو والحامض في قبضتي ؟ » قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك ، ان الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وابوابا من الحديد ، وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم ، وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها ، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة ، ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل — الى آخره — فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته

ومن ذا الذي لم يسمع بظلم داهية بني أمية الحجاج بن يوسف الثقفي وغلظته وسفكه للدماء ، ولكنه مع جبروته وغطرسته لم يستطع صد المسلمين عن اعلان الحق ، فلقد جيء اليه يوما بحطيط الزيات أسيرا ، فلما دخل عليه ، قال أنت حطيط ؟ قال نعم سل ما بدا لك ، فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : ان سئلت لاصدقن ، وان ابتليت لاصبرن ، وان عوفيت لاشكرن . قال فما تقول فيّ ؟ قال أقول : إنك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم ، وتقتل بالظنة ، قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول إنه أعظم جرما منك وانما أنت خطيئة من خطاياه

ودخل رجل من المسلمين على المأمون بن الرشيد وقال له على ملأ من رجاله ياظالم أنا ظالم ان لم أقل لك ياظالم ، فأقبل عليه المأمون وقال من أنت ؟ قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظا ،

فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم. فأمر بضرب عنقه

فهكذا كان المسلمون في الايام الاولى يتقربون الى مولاهم بتعرضهم للملوك والسلاطين وتخشينهم لهم في القول وتقديم مهجهم للهلاك، ولقدظلوا على هذه الوتيرة بعد ولا يزال يوجد فيهم الربانيون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى يأتي أمر الله كما ورد في الخبر « لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون »

الفتنة التتارية والفتنة الغربية

فلا تفتنهم الفتنة الحديثة الغربية ، ولا نستطيع ردعهم عن عملهم الحق ، اذ هي ليست بجديدة لهم ، فلقد دهموا قبلها بالفتنة التتارية ، وزلزلوا بها زلزالا شديدا ، فكما نرى الدول الاوربية ولا سيما انكلترة قد دمرت البلاد الاسلامية، ومزقت شمل الخلافة العثمانية ، وقضت على حرية الممالك الشرقية ، وأباحت سفك دماء المسلمين أنهارا في السهول الاناضولية ، كذلك كانت الفتنة التتارية ، والتتار لم يكونوا أناسي بل سباعا ووحوشا ، أنهالوا على البلاد الاسلامية كالسيل الجارف ، ووضعوا السيف في رقاب المسلمين ، ودمروا الخلافة العباسية ودخلوا بنداد فجاسوا خلال الديار — ولكن هل قدرت سيوف هلاكو ومنكو وباقا آن السفاكين، أن تقهر العلماء الربانيين وتسكتهم عن الحق ؟ كلا فهذا شاعر ايران الشهير السعدي الشيرازي قد قال لهلاكو خان وجها لوجه « انك ظالم ! » ودعا شمس الدين التتاري؟ على منكو خان وهو يسمع ويرى ، ولعن شيخ الاسلام احمد بن تيمية أباقا آن في حضرته وعلى ملأ من جنوده — نعم كانت في أيدي التتار السيوف البتارة تطير الهامات في طرفة عين ، ولكن لم يكن في « الثورة الجنكيزية » قانون ١٢٤ الذى امتازت به الدولة البريطانية المدنية في بلاد الهند !

الحجاج وريدنغ

فاذا كنا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الاسلامية هذه المعاملة ،فماذا يرجوه منا عمال هذه الحكومة الاجنبية؟ وهل تكون الحكومة الانكليزية الهندية « القانونية » أكرم علينا من الحكومات الاسلامية التي طاعتها واجبة علينا « شرعا ودينا » ؟ وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنغ أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحجاج بن يوسف الثقفي ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الاجنبية غير الاسلامية والحكومة الوطنية الاسلامية ، وأنزلناهما منزلة واحدة ، أفلا نقول في حكومات (جيمسفورد) و (ريدنغ) ما قلناه في حكومات الحجاج وخالد القسري من قبل ؟ قد قلنا يومئذ : أتق الله ، فقد ملأت الارض ظلما وجورا ! وهذا هو الذي نقوله اليوم ، ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن !

والحقيقة أن ما نعمله الآن في الهند من ترك التعاون ومقاطعة الحكومة ، إنما كنا أمرنا به في مقابلة ظلم الولاة من المسلمين ، لا في مقابلة الاجانب — ولو فهم أساطين بريطانيا ودهاتها هذه الحقيقة ، لاعترفوا بأن مساهلة المسلمين ومداراتهم قد بلغت منتهاها ، وانه لاينبغي أن ينتظر منهم أكثر من هذا ، اذ ليس وراءه الا الارتداد عن الاسلام أو النفاق فيه ، ولا يمكنهم أن يفعلوا ذلك حبا في سواد عيون البريطانيين (أو زرقتها)

وظيفة المسلمين اذا ظلموا

إن الشريعة الاسلامية رسمت للمسلمين خطتين اذا ظلموا ، خطة ضد استبداد الحكومة الاسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الاجنبية — والاولى تنحصر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلان الحق وتقبيح الظلم من استطاع اليه سبيلا — أما الثانية فليست الا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب

وفي كلتيهما أمر المسلمون بأن يضحوا نفوسهم ويرحبوا بالموت صابرين ثابتين شاكرين ، راجين رحمة ربهم وفلاح الدنيا والآخرة . ولذا تجدهم كما تجرعوا كؤوس المنايا بين الولاة الظلمة من أنفسهم في سبيل الحق ، كذلك باعوا رؤوسهم بيد الاجانب في إعلاء كلمة الحق ، وقد سبقوا سائر الامم في هذا المضمار ، فلا يوجد « لسعيهم الحربي » مثال ، ولا يوجد « لسعيهم المدني » مثال

ولقد كان يجب على مسلمي الهند الآن أن يتخذوا الخطة الثانية فيحاربوا الحكومة الانكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادها ، غير أنهم آثروا الاولى ، واعلنوا أنهم لا يرفعون عليها السلاح ، ولا يسفكون الدماء ، بل يظلون متمسكين بعرى الامن والسلم ، وانما يقاطعونها ، وينفضون أيديهم من التعاون معها ويشهرون سوءاتها ، ويطلبون تغييرها « بالسعي المدني » اي يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الاسلامية الجائرة

أجل ان فيهم ضعفا ووهنا ، ولا يستطيعون محاربة الدولة البريطانية القوية ، الا أنهم لم يكونوا عاجزين عن إلقاء أنفسهم في أفواه مدافعها وسد طريقها بجثثهم الممزقة ، ولكنهم مع قدرتهم عليه اختاروا الخطة الاولى ، ولم يضيقوا عليها السبل ــ فهلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعهم وتسامحهم معها ؟ فحسبها أنهم يعاملونها كمعاملتهم لحكوماتهم الاسلامية !

انقلاب الحال

وإني أقول حقا إنه لا يؤلمني أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وأنها لا تحاكمني الا لأن تزجني في السجون ، اذ هذا أمر لا بد منه ، وانما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلابا تاما ، فبدلا من أن ينتظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق ، يطلب منه السكوت عنه وكتمان الشهادة ، وأن لا يقول للظالم « انك ظالم ! » لان قانون ١٢٤ يعاقب عليه !

ولقد كان المسلم في العهد الاول يوقف بين يدي ملك جبار لقوله له « انك

ظالم » فيصب عليه العذاب الى ان تتشقق له القصب ، ثم يمدون قصبة قصبة حتى يذهب لحمه كله ، فلا يسمعونه يستغيث أو يندم أو يتألم ، بل لا ينفك لسانه يقول ما قاله أولا (١) ! فوازنوا بين هذا و بين قانونكم (١٢٤)

ولست أنكر أن الحقيقة المحزنة هي أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزي وتسلط الاجانب عليهم ، لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الاسلامية ، وكسبوا جميع رذائل العبودية ، حتى أصبحوا بحالتهم الحاضرة أكبر فتنة للاسلام ـ أقول هذا وقلبي يذوب حزنا وكمدا على وجود أناس من المسلمين في هذه البلاد يتخذون أربابا من دون الله ويعبدون الظلم والظلمة جهرا وعلنا ، فالى الله المشتكي ثم الى الله المشتكى !

الحرية أو الموت

ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية تعاليم الاسلام الحق البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ـ وهي لا تبيح للمسلمين في حال من الاحوال أن يعيشوا عبيدا وخولا للاجانب والمستبدين بل توجب عليهم ان يحيوا أحرارا ، أو يموتوا كراما ، وليس بينهما سبيل ـ

وهذا الذي حملني قبل اليوم باثنتي عشرة سنة على أن أذكر المسلمين في الهلال (٢) بأن الجهاد في سبيل الحرية ، و بيع الرؤوس لاعلاء كلمة الحق هو ارثهم الاسلامي القديم الذي ورثوه عن أجدادهم العظام ، وانه يجب أن يحافظوا عليها بكل قوة ، وأن دينهم يحتم عليهم أن يسبقوا جميع أبناء وطنهم في الجهاد الوطني ، فلا يكونوا فيه أذنابا ، بل رؤوسا وأعلاما يهتدى بهم ـ ولقد كان من فضل الله ان دعوتي لم تذهب أدراج الرياح ، بل لقيت القبول والاجابة منهم ، وها نحن اولاء نراهم اليوم قد شمروا عن ساعديهم وعزموا عزما أكيدا

---

١ » وقد فعل هذا الحجاج بن يوسف الثقفي مع حطيط الزيات الذي مرت حكايته آنفا ـ « المترجم »

«٢» الهلال مجلة لصاحب الخطاب

على السعي والعمل مع اخوانهم الوطنيين من الهندوس والنصارى والمجوس لتحرير وطنهم من ربقة العبودية الاجنبية ، ولا يقر لهم قرار الا بعد نيل المرام

مسألة الخلافة

وإني لا أذكر ههنا مظالم الحكومة حيال الخلافة الاسلامية لانها أشهر من أن تذكر ، ولكن الذي أريد التصريح به هو انه لم يمض علي يوم ولا ليلة في خلال السنتين الماضيتين الا وأعلنت تلكم المظالم على رؤوس الاشهاد ، وصرخت بأعلى صوتي قائلا « إن الدولة التي تدوس الخلافة الاسلامية تحت اقدامها ولا تندم على ما اقترفته في الهند من الفظائع والمنكرات لا تستحق أن يخلص لها أحد من أبناء هذه البلاد ، لانها بأعمالها قد أصبحت عدوا ألد للاسلام والمسلمين ولسكان هذا القطر ! »

ولا تلومن الحكومة أحداً غير نفسها على سقوطها في هذا المأزق الذي يصعب عليها الخروج منه ، لانني قد نبهتها سنة ١٩١٨ من معتقلي في كتاب مني الى (اللورد جيمسفورد) الوالي السابق فصلت لها فيه الاحكام الاسلامية التي تتعلق بالخلافة وجزيرة العرب ، وصارحتها بان الدولة البريطانية اذا نقضت عهودها ، واستولت على الخلافة والبلاد الاسلامية ، توقع المسلمين في حالة حرجة جدا ولا يبقى لهم اذ ذاك الا أن يكونوا مع الاسلام أو مع البريطانية ، ومعلوم أنهم يؤثرون الاسلام عليها

ولكنها لكبرها وعجرفتها لم تبال بما كتبت ، فألقت كتابي ظهريا ، ونكثت أيمانها من بعد توكيدها ، فاحتلت دار الخلافة الاسلامية واستولت على العراق والشام وفلسطين ، وبسطت نفوذها على جزيرة العرب ، فعادت الاسلام والمسلمين علنا ، واضطرتهم الى مقاطعتها ونبذ معونتها والتبري من طاعتها (وهو أقل ما توجبه الشريعة في مثل هذه الحالة كما مر) ثم إنها باصرارها على غيها واعراضها عنهم واستنكافها من الانصات اليهم ، أيأستهم من نفسها ، حتى أيقنوا أن لا سبيل

الى الحياة ونيل حقوقهم المغصوبة الا باسقاط هذه الحكومة واقامة حكومة وطنية بحتة ، وهي التي يسمونها في لغتهم « بالسوارج »

أعدل هذا أم ظلم ؟

والحاصل أن اعترافاتي في هذا الباب جلية وصريحة ، فاني لا أعد الحكومة الحاضرة الا (بيوروكريسيا) غير شرعي وعدما محضا في عين الحق والقانون ولرضا مئات (؟) الملايين من أبناء البلاد ، فهم يمقتونها أشد المقت ، ويطلبون زوالها وسقوطها بأسرع ما يمكن ، لانهم ألفوها دائما تؤثر الرهبة والشدة في أعمالها على العدل والحق ، وتبيح سفك الدماء البريئة بدون رحمة ولا شفقة في (جليانوا لاباغ [1]) وتجلد الصبيان الذين ما عرفوا الذنوب بعد لان ينحنوا أمام العلم البريطاني المثلث — ثم أنهم وجدوها لا ترتدع عن دوس الخلافة الاسلامية ، ولا تسمع الصيحات المتوالية التي تعلو من أفواه المسلمين وغيرهم ، وتسلم أزمير وتراقية الى اليونان ظلما وجورا ، وتسمح لهم باراقة دماء المسلمين أنهارا في سهول الاناضول .

ولقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة ، وهمتها في لبس الصدق بالافك غير كليلة ، ولسانها في تكذيب الحقائق غير عيي ولا متلعثم ، فمع أنه يوجد في ولاية أزمير ٧٠ في المائة من المسلمين ، يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكنة أن الاكثرية للنصارى ، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين وذبحوهم ذبح الانعام . وهو يقلب الحقيقة فيتهم العثمانيين بالقتل وسفك الدماء ، ويشهر المظالم التركية المخترعة في العالم بلا مبالاة ، ويخفي بكل وقاحة تقرير لجنة التفتيش الامريكية التي ندبتها حكومته بنفسها ، ويؤلب على الاحرار العثمانيين الدول الغربية كلها ، ويدعوها الى محاربتهم واستئصالهم .

«١» هو ميدان محيط بالجدران بمدينة امر تسر من مقاطعة بنجاب ، قتلت فيه الجيوش الانكليزية مئات من الوطنيين ، رجالا وشيوخاً وأطفالا ، كانوا اجتمعوا فيه ليتشاوروا في بعض القوانين الجائرة « المترجم »

ثم انهم وجدوها لا تخجل ولا تندم على هذه الفضائح والمنكرات، ولا ترغب في تلافيها واصلاح عوجها، بل تعود، فتستبد أكثر من قبل، وتقهر البلاد وتكبح سعيها الشرعي السلمي ، وتعمل كل ما عملته في السنة الماضية ، وما تعمله منذ ١٨ نوفمبر الى الآن ، من الاعمال الشنيعة التي تشمئز منها الانسانية وتعافها —

فياليت شعري ان لم أقل لمثل هذه الحكومة « انك ظالمة ، فاما أن تتوبي وإما أن تزولي ـ فماذا أقوله ؟ أفأ كذب وأقول لها: لا بل انك عادلة فلا تتوبي ولا تزولي؟ لعمرالله ان هذا لا يكون أبداً!

وهل يستحق الظلم أن يبدل اسمه ويسمى بغير اسمه لانه يملك القوة والسجون والمشانق ؟ كلا بل أقول كما قال صالح ايطالية وبطل الحرية (ميزني). اننا لا نسكت عن سيئاتكم لانكم تملكون قوة عما قليل تزول !

قرة عيني في « هذه الجناية »

اني لاعجب كيف تقدم الحكومة هاتين الخطبتين الناقصتين ضدي ؟ أفما كانت تجد غيرهما ؟ أفلا توجد هذه الاقوال بعينها وأكثر منها في الآلاف المؤلفة من الصحائف التي حبرتها ، وفي جميع خطبي التي خطبتها في سائر انحاء الهند ؟ فلو انها رجعت اليها لوجدتها ممتلئة من هذه الافكار الثوروية

الحكومة تعلم أني لست حديث عهد «بمبادىء الثورة» كما سمتها فلقد مارستها وأنا صغير، وباشرت الخطابة والكتابة فيها وأنا ابن ثماني عشرة سنة وأفنيت شبابي في عشقها والهيام بها ودعوت أمتي اليها جهرا على مسمع من الحكومة وحرضتها على المطالبة بحقوقها منها ولذا اعتقلتني أربع سنوات ولكن الاعتقال لم يكن ليمنعني من اداء واجباتي فظللت تحت المراقبة الشديدة ارفع صوتي بها وأدعو الناس اليها ، لا سرا بل علنا في رابعة النهار ـ وكيف لا ، وفيها قرة عيني ، وهي مقصدي من الحياة ، إن أعش أعش لاجلها وإن أمت أمت

عليها (ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين)

الحركة الاسلامية الاخيرة

كيف استطيع التبري من هذه « الجناية » وأنا الذي قمت بهذه « الحركة الاسلامية » التي أحدثت انقلابا عظيما في افكار المسلمين السياسية وأوصلتهم الى حيث تراهم الآن ، فانهم بقبولهم افكاري أصبحوا شركائي في الجريمة واستحقوا العقاب الذي تشرفني به الحكومة — ولقد اصدرت سنة ١٩١٢ صحيفة باسم « الهلال » بثثت بها جراثيم هذا الذنب في المسلمين ، فعلقت بقلوبهم وسممت أفكارهم ، فبعد ان كانوا أعداء لاخوانهم الهندوس وعقبة كؤدا في جهادهم الوطني ، وآلة صماء بيد الحكومة ، يعتقدون أن البلاد اذا استقلت، تغلب عليهم الهندوس وأسسوا دولتهم لانهم اكثر عددا منهم — اصبحوا بدعوة « الهلال » يرجحون قوة الايمان والحق على قوة العدد والعدد ، ودعتهم الى مساهمة الهندوس في الجهاد الوطني، فاصبحوا متحدين معهم وقاموا جميعا بالحركة الحاضرة. وغني عن البيان أن الحكومة لم تكن لتتحمل الحركة التي احدثتها « الهلال» فعمدت الى منعها واقفال مطبعتها ثم لما انشأت جريدة اخرى باسم «البلاغ» اعتقلتني

واني اصرح هنا بأن « الهلال » لم تكن الا دعوة للحرية أو الموت » وإن مايعمله الآن (مهاتما غاندهي) من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤ — وإن من المصادفات العجيبة أن المسلمين والهندوس ماقاموا بالحركة الجديدة القوية الا بعد أن حلت فيهم الروحانية الدينية محل المدنية الغربية المادية —

مؤتمر الخلافة بكلكتا

ثم اني منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادىء بين الناس وأدعوهم اليها — ففي مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ و ٢٩ فبراير بكلكتا نفسها والذى رأست جلساته ، حملت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي

« ان أصرت الحكومة على غوايتها ، ولم تصغ لمطالبنا في مسئلة الخلافة يضطر المسلمون بأوامر دينهم أن يصرموا جميع أواصر الولاء التي تربطهم بها ! »

وألقيت في هذا المؤتمر خطبة طويلة بينت فيها جميع تلك الامور بيانا تاما وهي توجد في هاتين الخطبتين ناقصة —

التعاون والخدمة العسكرية

ولقد شرحت في هذه الخطبة أن الشريعة توجب على المسلمين في الحالة الحاضرة أن يكفوا عن التعاون مع الحكومة وأن يقاطعوها مقاطعة تامة — وهذا هو « اللاتعاون » الذي أطلق عليه بعد اسم Nen cooperation وتولى (مهاتما غاندهي) قيادته —

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن : أنه لا يحل للمسلمين أن ينسلكوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة ، لانها تحارب الخلافة والدولة الاسلامية ! » وإن من أعجب العجب أن تؤاخذ الحكومة أناسا (١) وتعاقبهم لاعلانهم هذا الحكم في مدينة كراجي ولا تؤاخذني به ، مع أني صرحت مراراً على صفحات الجرائد وفي خطبي ان أول من قدم هذا الاقتراح وأعلن هذا الحكم الديني ، هو أنا بعيني ، فقد قرر وصودق عليه في ثلاثة مؤتمرات تحت رياستي : أولا في كلكتا ، ثم في بريلي ، ثم في لاهور — وقد أعلنته مرارا في غير هذه المؤتمرات ، ودعوت الحكومة الى معاقبتي فلم تجبني ، مع أني كنت أحق الناس وأولاهم بالعقاب عليه

وقد طبعت خطبة مؤتمر كلكتا بعد زيادات فيها ، ونشرت مع الترجمة الانكليزية مرارا ، وهي بمثابة جدول مكتوب لجرائمي وذنوبي —

حياتي كلها « جناية »

اني قد طفت البلاد الهندية كلها عدة مرات في خلال السنتين الماضيتين ،

---

(١) سجنت الحكومة الاخوين الشهيرين محمد علي وشوكت علي وغيرهما سنتين لاعلانهم هذا في كراجي. من مقاطعة السند (المترجم)

وحدي ومع (مهاتما غاندهي) ولا توجد بلدة الا وقد خطبت فيها على مسئلة الخلافة و بنجاب « وسوراج » واللاتعاون — و بينت جميع تلك الامور التي تحتوي عليها هاتان الخطبتان

ولقد انعقدت جمعية الخلافة الكبرى في ديسمبر سنة ١٩٢٠ مع الجمعية الوطنية العامة (بناغبور)وجمعية العلماء في ابريل سنة ١٩٢١ (ببريلي) وجمعية الخلافة لمقاطعة (اورهر)في اكتوبر (بآغره) وجمعية العلماء العامة في نوفمبر (بلاهور) وقد رأست هذه الجمعيات كلها ، وخطبت فيها خطباً طويلة ، قلت فيها ما قلت في هاتين الخطبتين ، بل أكثر منه وأشد

فان كانت مطالب هاتين الخطبتين لا تلائم الحكومة ، وتراني أستحق العقاب لاجلها تحت قانون ١٢٤ ، فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهي كلها مثلها ، بل أشد وطأة على الاستبداد منهما ؟ بل إني مضطر الى التصريح بأني ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها ، بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية ؟

اللاتعاون السلمي

اننا قد وضعنا لجهادنا الحق خطة « اللاتعاون السلمي » أجل ، إن القوات المادية واقفة امامنا بجميع اسلحتها القتالة ، وموادها العظيمة ، تريد أن تسحقنا سحقا ، وتمحق الحرية والحق محقا ، ولكن هذا لايهولنا ، لاننا لا نثق بالمادة والاسلحة المادية ، انما اتكالنا على الله الواحد القهار ، وثقتنا بالضحايا المتوالية التي نقدمها ، والثبات القوي الذي نظهره في هذه المعمعة القائمة بين الحق والباطل والحرية والاستبداد — واني لا أرى مثل (مهاتما غاند هي) أن استعمال السلاح لايجوز بحال ، فاني مسلم واعتقد أن استعماله مباح في المواقع التي أباحه الاسلام فيها — ولكني مع هذا أسلم بجميع دلائل (مهاتما غاند هي) في المسئلة الحاضرة واعتقد صحتها واني لعلى يقين من ربي في أن الهند ستفوز في

قضيتها بخطة «اللاتعاون السلمي» ويكون فوزها مثالا عظيما لفوز القوة الروحانية والاخلاقية والحق على الباطل والمادة —

الحالة الحاضرة طبيعية

واني اكرر أخيرا ما قلته أولا ، وهو أن ما تعمله الحكومة معنا ليس بامر عجيب ولا غير منتظر فنلومها عليه أو نتبرم منه ، فان القهر والعنف لقمع الحرية والحق دأب الحكومات الجائرة، وطبعها منذ الايام الخالية الى اليوم، ولا ينبغي لنا أن نمني انفسنا بتغير الطبيعة لاجلنا

وهذا الضعف الطبيعي كما يوجد في الآحاد ، يوجد في الجماعات ، فكم من من الناس من يرد الجزء اليسير المغصوب لانه لاحق له فيه ؟ وكيف ننتظر من دولة أن تتخلى عن قارة تسلطت عليها ووجدتها تدر كالبقرة الحلوب ؟ والقوة لاتقبل شيئا لانه حق وعدل ، بل تنتظر قوة مقاومة مثلها ، فاذا تصادمت بها خضعت لكل طلب مهما كان فاحشا، فالحرب التي نشبت الآن بين البلاد والحكومة لابد من طولها وامتدادها ، ولا تأتي النتيجة الا بعد شق الانفس . وان هذا الواضح جلي لكل بصير ، بل هو عادي مثل سائر احوالنا العادية، فلا ينبغي أن نعجب معه أو نضجر —

وإني اسلم بأننا لم يصبنا ما أصاب الامم قبلنا في هذا السبيل من الخسف والظلم ونقص الاموال والانفس — ولا ادري أهذا لضعف في مطالبتنا بالحقوق ووهن في سعينا وجهادنا ، أم لان ظلم الحكومة لم يبلغ منتهاه بعد ؟ المستقبل رهين بكشفه وبيانه —

وقد علمنا التاريخ أن هذا التزاحم كما يبتدئ في كل زمن متشابها ، كذلك ينتهي دائما متشابها ، فالحرية والحق ينتصران و يغلبان ، والاستبـداد والباطل يخذلان و يسقطان، فاذا كنا صادقين في قضيتنا ، وصابرين في ابتلائنا ، ننجح ونفوز بلا ريب ، وتضطر هذه الحكومـة التي تعاملنا اليوم كالمجرمين ، الى أن ترحب بنا غدا كالابطال والفاتحين !

الثورة

اني قد اتهمت « بالثورة » مهلا ، ذروني افهم معنى « الثورة » أهي ذلك السعي الذي لم ينجح بعد ؟ ان كان هذا هو الثورة ،فنعم أني « لثائر » ومتمثل بين يديكم ، عاقبوني بأي عقاب شئتم ؛ ولكن اعلموا أن هذا السعي اذا تكلل بالنجاح فانه يسمى « بحب الوطن » « وجهاد الحرية » فقد كنتم بالامس تسمون قادة ايرلندة « ثواراً وعصاة » ولكن أي اسم تختاره اليوم الدولة البريطانية لديوليرا وغريفث ؟ أهم ثوار الآن أم ابطال الحرية ؟

ولقد قال مرة قائد ايرلندة بارنل : مازال عملنا هذا يسمى في البداية «ثورة» وفي النهاية « جهادا وحربا مقدسة للحرية والوطن ! »

ناموس القضاء بالحق

انني مسلم وحسب المسلم يقينا كتابه الذي يؤمن به ، فالقرآن يدل على أن ناموس « انتخاب الطبيعة وبقاء الاصلح » ناموس عام ، كما يعمل عمله في الاجسام والمادة، فيبقى منها الاصح والاصلح للبقاء — كذلك يعمل في العقائد والاعمال ، فالاعمال الصالحة تخلد وتثمر ، والاعمال السيئة تفنى وتصير هباء منثورا. واذا وقع بينهما نزاع غلبت الاولى وحلت محل الثانية : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)(١٣:١٨)

ولذا يسمي القرآن العمل الصالح « بالحق » الذي معناه الثبوت والقيام ، ويسمي الشر والسوء « بالباطل » الذي من شأنه أن يزول — (ان الباطل كان زهوقا)

فالتدافع الذي نراه قائماً بين الحزبين سينتهي غدا بفوز الحق والصدق ، وبخسران الباطل والظلم — تلك سنة الله (فلن تجد لسنة الله تبديلا* وان تجد لسنة الله تحويلا)

واني لا أدري أقريب يوم الفصل أم بعيد ؟ ولكنني أرى الجو قد اكفهر

وتلبد بالغيوم ، واجتمعت الآيات على سقوط الامطار ، والويل كل الويل لمن يرى الآيات والنذر ، ثم لا يأخذ أهبته ، ولا يرتق فتقه ، ولا يسد ثغره ، وإني لارى الحكومة من اولئك الذين لا تغنيهم الآيات والنذر فانها لا تزال متمادية في تيهها وخنزوانتها .

وقد قلت في هاتين الخطبتين : ان الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوي على سوقها الا اذا سقيت بماء الظلم والقهر . فها هي ذي الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها !

وكذلك قلت فيهما : اخواني ! لا تحزنوا على من حبس منكم ، بل ان كنتم تطلبون الحق والحرية حقا ، فهلموا الى السجون واملؤها — فها نحن أولاء نرى السجون قد ازدحمت وامتلأت حجرها حتى لم يبق فيها محل للصوص والقتلة — واضطرت الحكومة الى تشييد سجون جديدة ؟

وكيل الدعوى ، والبوليس ، والقاضي

وفي الختام أريد أن أسوق كلمة الى هذا النفر من بني جلدتي الذين يعملون ضدي في هذه القضية فأقول : أصحابي ثقوا باني لا أغضب ولا أحقد عليكم ، بل لا أتهمكم بالكذب والزور علي ، لان كل ما قلتموه في الشهادة حق وصدق ، ولكني أراكم قد عصيتم الله ربكم بمساعدة الحكومة في استبدادها وظلمها ومحاربتها للاسلام والانسانية — إني أعلم أن صوت الضمير يوبخكم في أعماق سرائركم على ما تعملونه ، ولكنكم انما اضطررتم اليه اضطراراً ، لانكم لا تملكون ما تسدون به عوزكم ، وترزقون به أهليكم ، وليس فيكم قوة لتحمل البأساء والضراء في سبيل الحق ، فلذا لا أحنق عليكم ، ولا أعذلكم ، بل أعفو عنكم واستغفر لكم الله »

وأما وكيل الدعوى فهو أيضا أحد ابناء وطني ، ولا علم لي بسريرته وانما أرى علانيته ، وهي تشهد أنه لا حظ له في هذه القضية غير ما ينقده من النقود ، فانه أجير يعمل لاجرته فلذا لا أسخط ولا أحتمي عليه ، بل أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الاسلام (ص) لقومه : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

فاقض ما أنت قاض !

وأنت أيها القاضي ما ذا عسى أن أقول لك ؟ إن أقول الا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقفي هذا : (فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فاني لا أحس بأدنى هم ولا ألم مهما تبالغ في العقاب ، لان خطابي مع الحكومة لا مع شخص واحد — وما دامت الحكومة فاسدة فلا رجاء في صلاح عمالها

واني لاختم خطابي بكلمات لفقيد ايطاليا وشهيد الحق « غاردينيو برونو » الذي كان اوقف مثلي أمام المحاكم فقال: «عاقبوني بأكثر مايمكنكم أن تعاقبوني به فاني اؤكد لكم أن ما يشعر به قلبكم من العطف والحنان عند كتابتكم الجزاء لا يشعر قلبي في مقابله بذرة من الفزع والهلع عند سماعي هذا الجزاء »

الخاتمة

أيها القاضي ، لقد طال الحديث وآن أوان الوداع ، فليودع كل مناصاحبه، وان ما يدور الآن بيننا سيسجله التاريخ بين دفاتره و يعتبر به المعتبرون ، ولقد تشاركنا في ترتيبه على سواء ، أنا من هذا القفص للجناة ، وأنت من ذاك الكرسي للقضاة ، واني عالم بأنه لا بد من هذا الكرسي ، وكذلك لا بد من هذا القفص ، فهلم بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآتين، فالمؤرخ ينتظرنا، والمستقبل يترقب فراغنا، لنسرع في المجيء إليك ولتسرع أنت في القضاء علينا. وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب لمحكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله الحق ، الزمان يقضي فيها ، و يكون قضاؤه حقا وحكمه نافذاً اهـ —

فهرس

(رسالة ثورة الهند السياسية)

الخطاب التاريخي الذي قدمه الزعيم الشيخ أبو الكلام للمحكمة البريطانية في الهند

صحيفة

صحيفة

(انتهى)



تصنيف

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

خير كتاب أخرج للناس في مسألة الخلافة الاسلامية جمع أبحاثها المتفرقة وضم شتات مسائلها المبعثرة . فبين أحكامها الشرعية ، وأطوارها التاريخية ، وتفضيل الحكم الاسلامي الذي تمثله على جميع أنواع الحكومات المدنيـة ، وما يجب على المسلمين من إقامتها ، وعلى الترك خاصة من كفالتها ، وبيان الوسائل لذلك ، وحصرها في سعي حزب الاصلاح الاسلامي الوسط بين جمود المتفقهة ، وجحود المتفرنجة ، لاحياء حضارة الاسلام الجامعة بين المصالح الج... وانقاذ حضارة البشر بها من غوائل المادية القائمة باستعباد الاقو... واستذلال الاغنياء للفقراء ، والتنازع بين مذهب عبادة المال ، و ب... والعمال ، وهو يحتوي على اثنين وأربعين بحثا عدا المسائل التي ذ ك... الاستطراد . ثمنه ٥ قروش صحيحة عدا أجرة البريد . ويطل... (المنار) بمصر الحاوية لخير الكتب الاصلاحية والعصرية

